كلية التربية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم
إدارة: البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)
=======

التعددية الثقافية العالمية في ضوء القيم الإسلامية للحوار الحضاري (دراسة تحليلية)

إعـــــداد
د/ فاطمة سالم باجابر
أستاذ الأصول الإسلامية للتربية المشارك بجامعة أم القرى

﴿ المجلد السابع والثلاثون – العدد الثاني – فبراير ٢٠٢١م ﴾
http://www.aun.edu.eg/faculty_education/arabic

المستخلص :

هذه الدراسة تسعى إلى توضيح بعض القيم الإسلامية للحوار الحضاري في التعددية الثقافية التي يمكن الاستناد عليها وتطبيقها والاستفادة منها؛ للوصول إلى مجتمعات آمنة، وقد سعت منظمات كبيرة ومؤسسات جسيمة لحل هذه النزاعات، وما زال المفكرون والسياسيون والتربويون، كُلا يسعى من جانبه لإيجاد سبل مقننة لتخفيف من حدة الصراع المتصاعد في العالم، فكثرة الدراسات في هذا الجانب تزيد من أهميته ويصل صداها كافة المجتمعات المتعددة الثقافة وهدفت الدراسة الي إيضاح المنظور الإسلامي للتعددية الثقافية العالمية، وموقف الفكر الغربي منها، إبراز القيم الإسلامية في مجال الحوار الحضاري لمواجهة التعددية الثقافية العالمية، ووضع اقتراح التطبيقات التربوية للقيم الإسلامية للحوار الحضاري لتكون منهج حياة في مجتمعات التعددية الثقافية.

الكلمات المفتاحية: التعددية الثقافية– القيم الإسلامية – الحوار الحضاري .

Abstract

This study seeks to clarify some of the Islamic values of civilizational dialogue in cultural pluralism that can be relied upon, applied and benefited from. To reach safe societies, large organizations and enormous institutions have sought to resolve these conflicts, and thinkers, politicians, and educators are still seeking, on their part, to find codified ways to mitigate the escalating conflict in the world, as the abundance of studies in this aspect increases its importance and resonates with all multicultural societies. The study aimed to clarify the Islamic perspective on global cultural pluralism, and the stance of Western thought towards it, to highlight Islamic values in the field of civilized dialogue to confront global cultural pluralism, and to develop a proposal for educational applications of Islamic values for civilized dialogue as a way of life in multicultural societies**.**

Key words: cultural pluralism - Islamic values - civilizational dialogue .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي وهبنا العلم وجعله لنا نورًا ونبراس نهتدي به، الحمد لله الذي بيده كل الخير وبه تتم كل الصالحات، سبحانه لا إله إلا هو نحمده ونشكر فضله في كل وقت وحين، ونشهد أن نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

إن بداية الإنسانية أسرة واحدة تفرع منها الناس كافة، وتكاثروا، وسلكوا سبلاً مختلفة في بقاع الأرض، فاختلف الناس في طريقة معيشتهم نتيجة البيئة والظروف المحيطة بهم، وهذا أمر حتمي لا يمكن تغييره أو تبديله، فهذه سنة كونية وحكمة إلهية، ولكن رغم هذا التباين وتعدد الثقافات بين الشعوب والقبائل، فقد أمر عز وجل أن يتعارفوا ، ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)) الحجرات : ١٣

وتوطد أواصر هذه العلاقات الإنسانية بالتعارف والتواصل الإيجابي بين الثقافات المتعددة يحقق الألفة والتعاون والاستقرار الاجتماعي، فالله سبحانه وتعالى خلق الناس على قاعدة المساواة والاشتراك في الآدمية والإنسانية، ووفر لهم الإمكانيات؛ ليكون بينهم التعارف المؤدي إلى التآلف، ويتحقق التعاون والتكامل الثقافي، رغم الاختلاف والتباين والتعدد الثقافي فيما بينهم في الدين واللغة والقيم والأيدولوجيات، إلا أنه يوجد مقياس للتعارف بينهم، وهو التقوى أي العمل بما أوجبه الله، ويشمل صلاح القلب والعمل والسلوك، أي صلاح الظاهر والباطن.

وقد وردت آيات في القرآن الكريم تبين أن أصل الناس سواء، ثم حدث الاختلاف، والتعايش بين الناس مهما كان التباين والتعدد الثقافي، ومنها قوله ﷺ (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)) سورة يونس: آية١٩

وبينت السنة النبوية الجانب القيمي والأخلاقي والسلوكي في العلاقات والتواصل بين الناس في جميع شؤون حياتهم، وظهرت صورة العلاقات بين الجماعات المختلفة واضحة جلية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وتعامل مع اليهود فحافظ على حقوقهم رغم اختلاف دينهم وتعدد قبائلهم، وامتددت جسور تطبيق القيم الإسلامية في العلاقات الإنسانية في عهد الخلفاء الراشدين، والعصور التي بعدها، وتجسدت القيم الإسلامية للحوار الحضاري في تعاملات القادة المسلمين مع شعوب وقبائل البلدان التي فتحها المسلمون وذاع صيت عدلهم، وقيمهم الإسلامية التي كانت منهج حياة، ونظام سائد في ذلك الوقت، فكل

شخص يمارس معتقداته الدينية بُحرية مع تبادل الاحترام بين الأطراف المتعددة، وتقبل رأي الآخر، والحوار الهادف، بقيمه الإسلامية العالمية، فعم الأمن والسلام، والتعايش السلمي، والأمان والاستقرار، وهذه من القيم الحضارية التي كانت سائدة في عصر الدولة الإسلامية القوية، فانتشر الإسلام والسلام.

وتباين الناس واختلافهم في معتقداتهم وأيديولوجياتهم مستمر إلى مالا نهاية، ولقد وُضعت له عدة مصطلحات منها التعددية الثقافية وهي في حد ذاتها ليست إشكالية، فكل مجتمع له ثقافته وقيمه الخاصة به ومن حقه الحفاظ عليها، وتنحى التعددية الثقافية إلى مسارين الأول: أنها تكون عامل للتطور والتقدم والتنمية في عدد من المجتمعات، والثاني: أنها تكون ذات أثر سلبي في مجتمعات أخرى، ويتحول الأمر إلى صراع ونزاع، وهي المجتمعات التي تسعى للسيطرة وتنادي بالعولمة، وتحاول أن تستبدل قيم المجتمعات وحضاراتها وثقافتها بقيمها، متجاهلة قيم الحوار، ووضعت نصب عينيها أنها بقوتها تصل إلى غايتها.

وموقف الحضارات والثقافات المغايرة في تلقي القيم الدخيلة تكون على ثلاث منعطفات إما القبول الكامل بالثقافات الدخيلة، فتكون التبعية الثقافية العمياء، وإما الصمود أمام التحديات ورفضها، وهنا يكون الصراع الحضاري، وإما الوسطية والسعي لتقارب وجهات النظر وأخذ القيم التي تتماشى مع ثقافة المجتمع، وقد يغلب على المجتمع سيادة الثقافة الأقوى، فتبدأ نقطة الصراع الحضاري والتباين الثقافي بين الجماعات في المجتمعات استنادا على الرفض والقبول.

فالنظرة العدائية أو الصدامية، أو الصراعية لن تفيد بل تزيد من تأزم واقع العرب والمسلمين وسيعزلهم عن العالم وعن مسايرة ركب الحضارة الإنسانية التي هي ملك للجميع (بوعود، ٢٠٠٦م).

ولا يعني ذلك ألا يعرض العرب قيمهم، ففرق كبير بين عرض القيم، وبين فرضها، والتعددية داخل أي مجتمع من المجتمعات، لا تتم إلا بوجود المرجعية الواحدة، فلو انتفت المرجعية الموحدة للثقافة انتفى معنى التعددية في المجتمع (عمارة، ١٩٩٨م)

والاختلاف والتعددية الثقافية ليس للجفاء والتباعد، والتصادم في وجهات النظر، وليس مدعاة للنبذ والنفي والتقليل من شأن الآخر، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(١١٩) ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩) .

وبينت دراسة بن جماعة تجارب ست دول في تطبيق سياسة التعدد الثقافي هي: أستراليا، الهند، هولندا، سنغفورة، جنوب أفريقيا،و كندا، وسلط الضوء على التجربة الكندية بسبب تركيبته الجامعة بين الهنود الحمر (أو الأمم الأولى) والفرنسيين والإنجليز، وبسبب الانفتاح وقبول المهاجرين فالنموذج الأول يعرف بالتعددية الثقافية (Multiculturalism) ومعتمد من الحكومة الفيدرالية الكندية، أما الثاني فهو معتمد من قبل مقاطعة كيوبك ويعرف باسم التفاعل الثقافي (Interculturalism) (ابن جماعة ،٢٠٠٩).

ويصف (Simon Bekker) التعددية الثقافية بأنها مصطلح يستعمل بثلاثة معان مختلفة ،كوصف لحالة التنوع في مجتمع ما، وكأيديولوجية تهدف إلى دمج التنوع العرقي في المجتمع، وكسياسات عامة تهدف لخلق الوحدة الوطنية من خلال التنوع العرقي في المجتمع (. Bekker .2003).

ويرى المنظرون أن إشكالية التطبيق للتعددية الثقافية تنبثق من عدة تساؤلات منها: "كيف يمكن أن نقترب من الثقافات الأخرى دون فقدان هويتنا الخاصة؟ وهل نظرية التعددية الثقافية صالحة، أم أنها تقوم على افتراضات مثالية لا تصمد في العالم الحقيقي؟ وهل يمكن للدولة الديموقراطية الليبرالية أن تعطي لأقلية ما حقها وتقمع الفرد داخلها باعتبار فكرة الفردانية تضاد خصوصيات هذه الأقلية؟ وهل يؤدى التدخل لمصلحة الفرد إذا حدث إلى تفكك الجماعة في نهاية المطاف وذوبانها في الغالبية السياسية/ الثقافية؟" (ابو سكين، د.ت)

وتؤكد دراسة أبو الوفاء (٢٠٠٠م) على أن المجتمع المتعدد الثقافات لا يعني مجرد تجاور أو تعايش عدة ثقافات جنبا إلى جنب؛ بل يعني حدوث عدة اتصالات وتفاعلات وتداخلات، ولا يتم ذلك في مدارس تمارس الفصل والتمييز، وإنما يتم من خلال إقامة صلة تواصل شاملة بين اللغات والثقافات المختلفة.

وظهرت في الآونة الأخيرة مجتمعات ذابت هويتها الثقافية فأصبحت لا غربية ولا عربية، حيث انبهرت بثقافات أخرى وتقبلتها، دون تمييز بين الحق والباطل، ودون موازنة بين القيم المناسبة لثقافة مجتمعها، وتجاوزت المجتمعات ذات السيادة حدودها، وفرضت هيمنتها، لنشر العولمة، فكانت نتائجها فرض قيم معينة على مجتمعات ذات طابع ثقافي مختلف لا تتماشى قيمه مع الثقافات الدخيلة، فتولد الصراع، وفقدان التماسك الاجتماعي.

وقد تكون التعددية الثقافية في مجتمع واحد، وهم يتعايشون معا في دولة واحدة ويتقبلون ثقافة بعضهم ويحترم كل منهم قيم الآخر، كما في الدول الإسلامية والعربية يعيش فيها أصول عرقية وثقافية متباينة ويعيشون في تناغم جميعهم تحت مظلة القيم الإسلامية للحوار الحضاري، التي تدعو إلى السلام والأمن والأمان والاستقرار والتعايش السلمي، فهي قيم عالمية مصدرها منهج رباني، تدعو إلى تقبل ثقافة الآخر؛ فتسير ثقافة المجتمعات باتجاه حضاري راقي تُحترم فيه القيم بين الجماعات، وبالتالي لن يكون هناك صراعات، وأرى في مثل هذه الحالة لا يلزم استخدام مصطلح تعددية ثقافية بل يستخدم مصطلح تكامل ثقافي أو تلاقح ثقافي، لأنه رغم اختلاف الثقافات إلا إنه يوجد تناغم بين الأفراد في المجتمعات، أما نقيض ذلك فهو الذي يولد الصراعات والمنازعات العدائية والاختلافات والعنصرية المتناحرة..

مشكلة الدراسة

إن موضوع التعددية الثقافية العالمية، وقيم الحوار الحضاري حري بالدراسة والأبحاث المستفيضة والتحليل، حيث يعد من الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها، وإعادة هيكلتها؛ كي تتناسب مع الإنسان المعاصر في محيط الثوابت الإسلامية، وينبغي ترسيخ القيم في هذه الظروف التي اختل فيها التوازن وامتددت جسور مصطلح التعددية الثقافية أكثر من ذي قبل، وغلبت عليه القيم الفردية والمادية، واضمحلت القيم الروحية والإنسانية.

ولوضع خطوط حمراء تقف عندها المجتمعات المتصارعة، وتحترم فيها قيم الآخر وثقافته، ويلتزم المجتمع بحدوده ولا يتجاوزها؛ يحتاج الأمر إلى إقناع المجتمعات الإنسانية ثقافيا ومعرفيا بطرق حكيمة؛ حتى تلتزم فيها بالقيم الإسلامية للحوار الحضاري اقتناعا، وليس فرضا أو أمرا – لأنها تسير وفق منهج رباني عالمي– وبذلك تحقق التعددية الثقافية التعايش السلمي الآمن بشكل اجتماعي واقتصادي ونفسي؛ ولو رجعت المجتمعات ودرست الكيفية التي تعايش فيها المسلمون قبل حقبة من الزمن مع المجتمعات التي لها ثقافات متعددة؛ لظهر لها ذلك جليا في السيرة النبوية بكل مراحلها وأطوارها، فقد أرست قيم الحوار الحضاري وغرستها في نفوس الناس، وعقولهم، فظهر ذلك في سلوكهم فردا وجماعة، فامتدت جسور الحوار الحضاري بقيمه الإسلامية المحايدة والهادفة، في تلك مجتمعات.

فالمجتمعات العالمية المعاصرة هيمن فيها القوي على الضعيف، وذابت كرامة بعض المجتمعات أمام العولمة، وحدث هذا التغير باسم الحداثة والتطور والتجديد فباتت الدول التي كانت قوية بالأمس البعيد ضعيفة ومهمشة، وبعيدة عن متطلبات المشاركة والمساهمة الإيجابية في أحداث العالم، وهذه المجتمعات تحتاج إلى مرتكز لتنهض من جديد وتسترد عزها وقوتها، وهذا يكون بإعادة البنية الأساسية من أجل الوصول إلى تطبيق قيم الحوار الحضاري مع المجتمعاتالمتعددة الثقافات،وتحديد المفاهيم والمصطلحات،والاتفاق عليها واحترام الخصوصيات بين كل الأطراف،وعدم قبول سياسة الطرف الآخر كما هي–الغرب وأمريكا– خاصة الآن في عصر العولمة، من خلال محاولات التهديد، والتحقير، والاستعلاء وهي لغة الحوار في العالم الجديد من وجهة نظرهم، ولتجاوز تحديات الحوار الحضاري ينبغي أن تكون له قيم ومصطلحات ومفاهيم بلغة واضحة محددة غير موجهة إلى أمة أو دين كما هو الحال الآن، حيث يوجه الخطاب الأمريكي الأوربي ضد الإسلام وقيمه ومبادئه بصورة علنية(القماطي، د.ت،)، وظهر الصراع الحضاري والتبعية في الآونة الأخيرية نتيجة الهيمنة والعولمة وفرض قيم حضارة معينة على مجتمعات ذات طابع ثقافي مختلف لا تتماشى قيمه مع كل الثقافات. والهدف صهر الثقافات ودمجها في ثقافتهم، لمسخ الهوية، وذوبان الشخصية، وسلب الإرادة.

وهذا الخطر الزاحف المتشعب يحتاج إلى دراسات مستفيضة توضح وتبين أهمية القيم الإسلامية للحوار الحضاري، فهي تتناسب مع المعتقدات الدينية في المجتمعات المتعددة وتحترم جميع الثقافات، ولا تقلل من شأن ثقافة الآخر، فقيم الحوار الحضاري قضية إنسانية، ومن أهم احتياجات الإنسان المعاصر، وضرورية لجميع فئات المجتمع، للتواصل الإنساني. فإذا سار عليها المسؤولون يتحقق التعايش السلمي، ويعرف كل مجتمع واجباته وحقوقه، فيؤدي ما عليه ويلتزم بما له، ولندرة هذه الدراسات العلمية يجعل الاحتياج إليها مستمر.

أما عن أزمة الحوار؛ فهي مترتبة على أزمة العقل والفكر، وحلها يترتب عليه إصلاح الأمة الذي لا يتحقق إلا بتطبيق قيم الحوار الإسلامي في التعددية الثقافة، لمواجهة التحديات وحل الصراعات.

وهذه الدراسة تسعى إلى توضيح بعض القيم الإسلامية للحوار الحضاري في التعددية الثقافية التي يمكن الاستناد عليها وتطبيقها والاستفادة منها؛ للوصول إلى مجتمعات آمنة، وقد سعت منظمات كبيرة ومؤسسات جسيمة لحل هذه النزاعات، وما زال المفكرون والسياسيون والتربويون، كُلا يسعى من جانبه لإيجاد سبل مقننة لتخفيف من حدة الصراع المتصاعد في العالم، فكثرة الدراسات في هذا الجانب تزيد من أهميته ويصل صداها كافة المجتمعات المتعددة الثقافة.

أسئلة الدراسة

١) ما المنظور الإسلامي للتعددية الثقافية العالمية؟
٢) ما موقف الفكر الغربي من التعددية الثقافية؟
٣) ما القيم الإسلامية للحوار الحضاري لمواجهة تحديات التعددية الثقافية؟
٤) ما التطبيقات التربوية للقيم الإسلامية للحوار الحضاري في مجتمعات التعددية الثقافية العالمية؟

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى:

إيضاح المنظور الإسلامي للتعددية الثقافية العالمية، وموقف الفكر الغربي منها، إبراز القيم الإسلامية في مجال الحوار الحضاري لمواجهة التعددية الثقافية العالمية، ووضع اقتراح التطبيقات التربوية للقيم الإسلامية للحوار الحضاري لتكون منهج حياة في مجتمعات التعددية الثقافية.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة الحالية من حيوية موضوع التعددية الثقافية العالمية في ضوء القيم الإسلامية للحوار الحضاري، حيث يتناول مستجدات، وتحديات جسام، ووقائع يشهدها العالم اليوم، وتبرز أهمية الدراسة على النحو التالي:

١) جدة الموضوع خاصةً في الوقت الحالي الذي يشهد فيه العالم صراعات مختلفة تستغل فيه الاختلافات الدينية والمذهبية والحضارية.
٢) تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية القيم الإسلامية للحوار الحضاري، فعلى الرغم من كثرة الكتابة في التعددية الثقافية إلا أن صراع الثقافات المتعددة، لم يستقر على قيم للحوار الحضاري، التي هي الضمان الأكبر في تحقيق السلام العالمي الذي تنشده المجتمعات والأفراد، تجاوزا عن أعراقهم ومعتقداتهم وثقافاتهم.
٣) تسهم الدراسة في نشر القيم الإسلامية للحوار الحضاري في التخفيف من حدة الصراعات المتباينة في مجتمعات التعددية الثقافية.
٤) دراسة القيم الإسلامية للحوار الحضاري من العوامل التي تقاوم صهر ثقافات بعض الشعوب ومسخ هويتها، وبذلك تمنع تصاعد الصراعات بين الثقافات العالمية.
٥) تضيف هذه الدراسة حلول إنسانية وأخلاقية وسياسة للرقي بالحوار الحضاري، لتضيق دائرة الخلاف، الذي يكتنف المجتمعات المعاصرة، من الخلافات الأيدلوجية والثقافية.
٦) دراسة القيم الإسلامية للحوار الحضاري يساهم في حماية مجتمعات التعددية الثقافية، من تسلط العولمة وذوبان الثقافات المختلفة في بوتقة واحدة.

٧) اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية المباركة، بمجالات قيم الحوار الحضاري، الذي يحث على احترام الأديان السماوية، وأفضل مثال على ذلك هو (مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في فيينا).
٨) تساعد هذه الدراسة القائمين في المؤسسات التربوية والمؤسسات السياسية الدولية، في توعية فئات المجتمع ذا الثقافات المتعددة، بنبذ الفرقة وتوجيههم نحو تحقيق السلام العالمي.
٩) تخدم هذه الدراسة واضعي المناهج والقائمين على السياسات التعليمية ومراكز الحوار، بإمدادهم بقيم إسلامية للحوار الحضاري قائمة على المنهج الرباني، المنظم الخالي من العشوائية، والمتميز بالشمول الفكري وسلامة الأسلوب، ومواجهة المشكلات، والتحديات الناتجة عن التعدد الثقافي.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج الملائم لطبيعة البحث الحالي وأهدافه، فهو لا يقف عند حد وصف الواقع، بل يتعداه إلى جمع الحقائق والمعلومات ذات العلاقة بموضوع البحث، ثم تحليلها، ثم تفسير الوضع العالمي الراهن، وتوضيح التحديات التي تفرزها التعددية الثقافية، واستنتاج ما يتصل بمشكلة البحث والإجابة على أسئلته.

حدود الدراسة

التعددية الثقافية العالمية لها مجالات متعددة، منها دينية، سياسية، اقتصادية، ثقافية، أخلاقية، تربوية، إنسانية، وسوف تقتصر الدراسة على التعددية الثقافية العالمية بشكل عام .أما في الحوار الحضاري فسوف تقتصر على بعض القيم الإسلامية للحوار الحضاري، والتي هي الأكثر تأثيرا في المجتمعات ومنها ثلاثة مجالات وضمن كل مجال ثلاث قيم من القيم الإسلامية للحوار الحضاري ،الأول: الإنساني (المساواة ،الرحمة ،التسامح) والثاني : الأخلاقي (الصدق، العدل، التأني وفهم رأي الآخر واحترامه) والثالث: السياسي (حفظ الحقوق، التعايش مع التشريعات الأخرى واحترامها، حفظ المواثيق والحقوق)..

مصطلحات الدراسة

التعددية الثقافية :(Multiculturalism)

١) بناء مجتمع مكون من جنسيات مختلفة ذات تقاليد ومعتقدات مختلفة، وفي الوقت ذاته الحفاظ على تلك الاختلافات والاحتفال بها (صليبا،١٩٧١م)
٢) ثقافات متعددة متصارعة في المجتمع الواحد نتيجة لأسباب وظروف متنوعة ظهرت في القرن العشرين (العاجز،٢٠٠٠م).

التعددية الثقافية العالمية: لم اتوصل إلى تعريف يتناول هذا المصطلح، وبناء على محتوى البحث الحالي وُضع المفهوم الآتي:

الوضعية، والكيفية التي يتعايش بها جماعات مختلفة الثقافات، ومتمايزة في الملكية، والنفوذ داخل المجتمعات، ويكون لهم نتاج سياسي، واقتصادي، وعلمي، ومذهبي، واجتماعي، ويتصرفون ويتفاعلون بناء على ثقافاتهم، وأيديولوجياتهم، فتتكون هويات متعددة الخبرات، ويتم تناقلها بين المجتمعات، ويكون لها مسارات مختلفة إما القبول والتعايش المثمر بدون انصهار، أو الرفض، والصراع، والنزاع.

وبهذا المعنى فإن التعدد الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلية.

القيم

هي المعايير التي دعا إليها الإسلام، وحث على الالتزام والتمسك بها، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وأصبحت محل اعتقاد واتفاق واهتمام عند المسلمين، تمثل موجها لحياتهم، ومرجعا لأحكامهم، إذ يحدد من خلالها المقبول والمرفوض، والمستحسن والمستهجن، والمرغوب وغير المرغوب فيه من الأقوال والأفعال، ومظاهر السلوك المختلفة (ابراهيم،١٩٩٩م).

والقيم في الاصطلاح التربوي هي: "معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية وعامة وتتصل من قريب بالمستويات الخُلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الخارجية، ويقيم منها موازين يبرز بها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا " (مكرم، ١٩٩٦م).

الحوار الحضاري: لقاءات وتعاون وتفاعل بين الأفراد أو الجماعات، يستمع بعضهم إلى بعض ويستفسدوا من ثقافات بعضهم في شؤون الحياة المختلفة، وليبلغ كل طرف رسالته الحضارية للآخر بالجدل والإقناع والبرهان، فهو بهذا يعد عملا فكريا (السنيدي،١٤٣٠هـ).

الحوار الحضاري: تفاوض ومناقشة وتبادل الرأي من أجل التوصل إلى اتفاقيات مشتركة في إطار شامل ومتوازن بين كيانين سياسيين مختلفين بقصد الوصول إلى اتفاق، أو الانتقال من ضلال إلى الحقيقة والصواب، وتحديد الخطأ وتوجيهه. (الحسن،٢٠٠٨م).

قيم الحوار الحضاري: مجموعة من المبادئ والقوانين والمقاييس التي تنشأ في جماعة ما مسلمة أو غير مسلمة، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام، ويعتبر أي خروج عليها خروجا عن مبادئ الجماعة ومثلها العليا (لطفي،١٩٩٠م).

وترى الباحثة أن القيم الإسلامية للحوار الحضاري هي: منظومة من المبادئ والمثل العليا والخصائص التي تُبنى عليها العلاقات الإنسانية، والممارسات السلوكية المنضبطة، والمحددة بشروط قيمية إسلامية، وتُحدد بها الدوافع، والتصورات، والأعمال الظاهرة والباطنة، وتتناسب مع المتحاورين، والعرف، وأهداف المجتمع، وتوجههم في المواقف المختلفة إلى التحاور بأسلوب حضاري راقي فيتفاعلون في ضوء معايير ترتضيها الجماعات، وتؤدي إلى مزيد من القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وبين الخير والشر وبين القبيح والجميل، والمقبول والمرفوض.

أدبيات البحث

إن التعددية الثقافية في المجتمعات المتباينة في الإسلام لا تتسم بأي تفضيل لأي نزعة كانت سواء قومية أو لونية أو لغوية، ولا يوجد نظرة أحادية في قراءة الأحداث والوقائع أو التعامل معها، وذلك استنادا على مصدر تشريعي سماوي، مع الإقرار بوجود التعدد والتعامل معه (العتيبي، ١٤٣٥هـ).

ﷺ (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (٢٨)) (سبأ: ٢٨)

إن الاختلاف سُنَّة طبيعيَّة بيْن البشَر، سواء مِن حيث لغاتهم أو الوانهم ﷺ (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ(٢٢)) [الروم: ٢٢] ، أو مِن حيثُ أعمالُهم ﷺ (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)) (الليل: ٤)، أو مِن حيثُ أفكارُهم ومعتقداتُهم ﷺ (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)) (يونس: ١٩)، ﷺ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)) (هود: ١١٨- ١١٩) : ويتضح مما سبق إن اختلاف الناس سُنة كونية وحكمة إلهية، وكذلك التنافس والتدافع بينهم، ﷺ (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)) (البقرة : ٢٥١)

ولأجل سير عجلة الحياة كما شاء الله لها فقد سخر سبحانه وتعالى كل ما في الأرض للإنسان ليقوم بالمهمة المكلف بها وهي الخلافة لعمارة الأرض ويظهر ذلك من خلال حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة ﷺ (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)) (البقرة: ٣٠)

وﷺ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)ً(ص : ٢٦) . فالخلافة تحتاج إلى القوة والحكمة والعدل واتباع منهج الله القويم، فالله أرسل الرسل والأنبياء لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ويعلموهم الكيفية التي تكون بها عمارة الأرض، وتستقيم بها الحياة، وتوجيههم إلى ما ينفعهم في حياتهم وبعد مماتهم، فمنهم المهتدي ومنهم الضال، ولو كانوا نسخة واحدة وفكر واحد لما تنوعت الثقافات وظهرت الحضارات وتطورت، ﷺ (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨))(المائدة : ٤٨)

وتحقيقا للحكمة الإلهية فقد اتسمت الثقافة البشرية بالتنوع الثقافي، وهذا التنوع هو حق أساس شأنه في ذلك شأن باقي الحقوق، فتغييبه بمثابة تغييب لحقوق الإنسان؛ ولتفادي تغييب الحق في التعدد الثقافي يتطلب تعزيز الحريات الأساسية التي تعتبر متطلب أساس للأفراد في كل المجتمعات ذات التعدد الثقافي والتي منها: تقبل الآخر، واحترام متبادل للرأي، وقبول الآخر، والاعتراف بثقافة الآخر، والانتماء المشترك، والحرية المسؤولة، والاشتراك في المواطنة، كما في شكل رقم (١) من تصميم الباحثة.

والتعددية الثقافية في المجتمعات إذا حققت هذه المتطلبات يتجلى الاعتراف بالآخر، وعدم تشويش مكون ثقافي على مكون آخر مغاير، وإهمال الفوارق بين الهويات من أجل خلق وحدة متماسكة في بنية المجتمع، وتحقيق التعايش السلمي، ويكون هنالك اعتراف متبادل بين الهويات المختلفة في المستوى نفسه من دون أدنى انتقاص أو تهميش لمجموعة من الثقافات على حساب الثقافة الأخرى، وبذلك تسود قيم التعدد الثقافي في المجتمعات.

وهذه القيم وغيرها تحقق الأمن والأمان لأفراد المجتمع وهذا ما دعت إليه الشريعة الكاملة المتوازنة العالمية، حيث نظمت هذه الشريعة العلاقات الإنسانية كافة وفق قواعد وأسس لتحقيق السلام بضوابط محكمة وقيم متوافقة مع فطرة الإنسان، ومنهج حكيم ينبغي العمل بمقتضاه مهما اختلفت ثقافة المجتمعات؛ فالحوار الحضاري المتوج بقيم المنهج الرباني، ينشر التعايش الحضاري، ويعزز تبادل المصالح المشتركة، ويحفظ كرامة الإنسان أيا كان جنسه أو لونه أو عرقه.

ﭟ ﭠ ﭡ (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)) (الإسراء: ٧٠)

وقبل تناول القيم الإسلامية لحوار الحضارات، التي توجه السلوك البشري بما يتناسب مع طبيعته الإنسانية، وتركيبته الفسيولوجية، سوف أطرح موقف الإسلام من التعددية الثقافية العالمية ودوره في مد الجسور العالمية للرقي بثقافة المجتمعات المتعددة.

المبحث الأول: التعددية الثقافية العالمية من المنظور الإسلامي

إن المسلمون لهم الأسبقية في حوار الحضارات وقدموا نماذج ساطعة من خلال تعايشهم سواء مع مجتمع إسلامي، وفي بلاد غير بلاد المسلمين، ومنها هجرة أصحاب النبي عليه السلام إلى الحبشة، واحترامهم لقوانين البلد المضيفة. كما تمثلت القدوة في التعايش السلمي، وشكلت أساسا للعلاقة مع الدول التي سافر إليها المسلمون لنشر الإسلام فيها، وهي تجارب للتعايش، ولم تسجل على أن المسلمين أثاروا فيها الفتن، أو قاموا بثورات ضدها، أو ناصبوا أهلها العداء والكراهية (Hassan 2012).

والتجربة النبوية في المدينة المنورة، تشير إلى هذه الحقيقة، فالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم لم يلغ تعددية المجتمع، ولم يعمل من أجل دحر خصوصيات فئات ومكونات المجتمع، وإنما عمل على بناء نظام سياسي وإداري وقانوني متكامل يضمن خصوصيات الجميع، ويزيل كل عناصر الجفاء والتوتر بينها، ويعمل على بناء متحد اجتماعي مستند إلى احترام التنوع في سبيل بناء وحدة صلبة.ومدونة المدينة المسماة ب (صحيفة المدينة) هي الوثيقة النبوية التي تؤكد هذا الخيار وتشرعه، وترى أن الوحدات الاجتماعية، لا تبنى بمخالفة ثقافة التعدد ومعاندته، بل باحترامه وتقديره وحمايته قانونياً وسياسياً. (ابن هشام، ١٤٣٣هـ)

فقد أسس نظاما عاما حين استقر صلى الله عليه وسلم في المدينة أساسه "التعايش السلمي" وبالمصطلح الحديث "المواطنة " أو "السلم الأهلي " أو مفهوم قبول الآخر " هذه المفاهيم أقرها الإسلام وعمل بها منذ أربعة عشر قرنا ونيف، وتعامل صلى الله عليه وسلم مع " مزيجا إنسانيا متنوعا من حيث العقيدة، والانتماء القبلي والعشائري، ونمط المعيشة، فهناك المهاجرون من قريش، والمسلمون ،والوثنيون واليهود من الأوس والخزرج ، وقبائل اليهود الثلاثة، بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة ،والأعراب الذين يساكنون أهل يثرب، والموالي، والعبيد ، وغيرهم من الطوائف والأقليات المختلفة " (العسيلي، ٢٠١٢)

ﷺ(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)(الممتحنة : ٨)هذا المنهج الرباني لا يقتصر على القيم والمبادئ النظرية، بل يتجاوزها إلى التوجيهات والسلوك والأفعال، فالإسلام ثقافة شاملة متوازنة وعامة، ﷺ (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٨))(ال عمران: ١٣٨)

فالرسول صلى الله عليه وسلم نفذ منهج التطبيق القيمي، فالقيم ليست شعارات تردد بل هي سلوك يقتدى به وينفذ، فقد تعامل مع كل الطوائف، وفي ظروف السلم، والحرب، وأيام النصر والقوة، والضعف، وفي وقت الغنى والفقر، فظهرت كنوز هائلة من آداب العلاقات التي اتضحت فيها الكمال الأخلاقي، وقد وصفه الحق جل جلاله ﷺ (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)) (القلم: ٤) (السرجاني،٢٠١٠م).

ومن التطبيقات النبوية في المنهج الرباني كما رواه أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهْوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ (البخاري ، ١٤٠٧هـ،ج٩، رقم الحديث ١٣٥٦).

يبرز الحديث الشريف مدى لطف التعامل مع غير المسلمين وتمني الخير لهم، وتعامله صلى الله عليه وسلم مع الغلام اليهودي، بكل لطف وأدب رفيع لينجو الطفل من النار، من غير إكراه مما يدل على حسن التعامل مع غير المسلمين، فلا يُكرهون ولا يجبرون على الإسلام، ولهم حرية العبادة، كما حرم الإسلام ظلمهم والاعتداء عليهم، وحفظ كرامتهم الإنسانية، وحقهم في حرية الاعتقاد، والالتزام بشرعهم، ولهم حقهم في العدالة، كما حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وكذلك حقهم في التكافل الاجتماعي(العتيبي،١٤٣٥هـ) كما حث الإسلام على الإحسان إلى فقرائهم فعَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ(الترمذي، ١٩٩٨م، ج٣، رقم الحديث١٩٤٣).

فالإسلام منهج عالمي لأنه رباني المصدر وجميع عباد الله، وهو أعلم بما يتناسب معهم في جميع الجوانب، والتربية النبوية شاملة وكاملة ومتوازنة تسعى إلى إيجاد الإنسان الصالح.

فالإسلام آخر الأديان السماوية وهو المنهج الذي يتوافق مع الفطرة السليمة والبشر كلهم عباد الله وهو خالقهم، ويعلم ما يتناسب معهم. ﷻ(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١)) (الزمر: ٤١) الآية الكريمة تشير إلى أن الإسلام دين عالمي، ورسالته ومنهجه وشريعته جاءت مناسبة للعالمين الأنس والجن رغم كل التباين في ألوانهم، وأجناسهم، وأوطانهم وعقائدهم وثقافاتهم. ﷻ(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، الأنبياء الآية ١٠٧) وﷻ (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)) (النساء: ٧٩)

وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: " عُطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً ....." (البخاري، ١٤٠٧هـ-رقم الحديث ١٩٨٧، ص١١٩)

وهذه العالمية إن لم تكن فالأمر يحتاج إلى رسالة سماوية أخرى، كما سبق في الأقوام السابقة، وهذا مستحيل ﷻ(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) (الأحزاب: ٤٠)

ﷻ(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢٨) (سبأ: ٢٨) ، الخطاب صريح وواضح، وموجه إلى الناس كافة ويتضمن محركات الإنسانية التي تستند على القيم والمبادئ والعلاقات والتعاملات الإنسانية بأنواعها، ﷻ(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)) (العنكبوت:٤٦)

وهذا الأمر يؤكد عالمية الإسلام والاعتراف بالآخر والحوار معهم بالتي هي أحسن، وليس الإقصاء، كما أنه لا علاقة لها بحيازة الأرض أو السيطرة عليها، أو الإكراه في الدين؛ بل نشر السلام والتعايش السلمي، فهي عالمية إنسانية وروحية تتميز بالكمال والشمول والتوازن؛ لأنها ربانية المنهج. وليست مادية وديكتاتورية وضعية قاصرة وضعها الإنسان، الذي من خصائصه السعي خلف مصالحه الخاصة، وأغراضه النفسية والشخصية. وهذه هي التعددية الثقافية للفكر الغربي تسير وفق مطامع الهوى والشهوات الدنيوية (دربالة، ٢٠١٧ م،). https://maktaba-amma.com/?p=11949

والعالمية الإسلامية لها قواعد ومبادئ مستقرة ينبغي التسليم بها والعمل بموجبها ومنها:

١) أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم من الدول الأخرى هي علاقة السلم، وليست علاقة حرب ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)﴾ (الأنفال: ٦١)

٢) إن الحرب في الإسلام هي حرب دفاعية وليست هجومية، فهي لرد العدوان فقط، ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) (البقرة: ١٩٤)

٣) إن الإسلام اعترف بالأديان الأخرى ودعا إلى احترام معتنقيها ومعاملتهم بالتي هي أحسن، ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤٦) (العنكبوت: ٤٦) فالأمر بجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن هو اعتراف بوجودهم؛ لأن المحاورة بحد ذاتها تعني الاعتراف بالآخر واحترامه رغم التعدد الثقافية (درباله،٢٠١٧م). https://maktaba-amma.com/?p=11949

٤) الإسلام يدعو إلى الحوار بعبارات صريحة لا تدع مجالا للشك أو الاجتهاد (بباوي،٢٠٠٩م).

وعليه فعالمية الإسلام لا علاقة لها بحيازة الأرض والسيطرة عليها، وقول غير ذلك يتنافى مع القيم، ويكون نوع من أنواع الإكراه في الدين، وهذا مرفوض قطعًا في الإسلام؛ لذلك ينبغي أن تهيمن قيم عالمية الإسلام العليا على كل قيم ومبادئ الأديان، وهي مناسبة لكل البشر في كل زمان ومكان، وأنها عالمية روحية وليست عالمية مادية، وإذا خالف بعض المسلمين مفهوم هذا المبدأ في عصر من العصور وجاوز حقيقته إلى غيره؛ فإن هذا التجاوز لا يقدح في هذه القيم بحال؛ إذ إنها لا تعدو أن تكون أفهامًا لمعتنقيها يحاسبون عليها ولا يحمل الإسلام من أوزارها شيئا.

ومطالبة الغرب بالالتزام بالتعددية على مستوى العالم المطلوب، يقابله الالتزام بتطبيق التعددية في الدول العربية، وجميع الدول الأخرى، خاصة أن التعددية من أسس الحضارة. والتعددية المذهبية، مظهر من مظاهر التعددية في تاريخ الإسلام. وله مرجعيه إسلامية، فلنكمل المسيرة التي انتهجها خير البشرية صلى الله عليه وسلم، والتعامل معهم بما يتوافق مع تعاليم وقيم عالمية الإسلام، والتحاور معهم بقيم الإسلام العالمية.

والمسلم المتحاور ينبغي عليه أن يكون لديه تصورا عن ثقافة الآخر، وتاريخهم، وواقعهم، وحضارتهم ثم يسعى للحوار بغية فهم الآخر ومحاورته، وأن يلتزم بآداب الحوار وقيمه الإسلامية.

المبحث الثاني: الفكر الغربي للتعددية الثقافية

يختلف المنظرون للتعددية الثقافية حول الإجابات على بعض التساؤلات، ففريق من اليسار الاشتراكي يذهب إلى استحالة تحقيق التعددية الثقافية في ظل وجود تعددية طبقية اقتصادية قائمة على اللامساواة، ويتساءلون ما الذي يعنيه التعدد الثقافي في غياب التعدد الاقتصادي؟ بينما يذهب اليمين الليبرالي إلى الاعتقاد بأن فكرة التعددية الثقافية قد عملت على تقسيم السكان إلى جماعات إثنية متنافسة، (أبو سكين، د.ت)

وامتدت تلك الصراعات في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأخطرها التحديات الثقافية والفكرية، وانقسم الناس إلى قسمين:

١) بسط هيمنته وقوته وثقافته على العالم تحت شعار عالمية الثقافة وكينونة الأفكار.
٢) نظرة الإعجاب والانبهار أدى إلى ما بين خاضع ومطيع، ومقاوم ورافض، فظهر الصراع الحضاري. (محسن، ٢٠٠٩م)

https://www.iasj.net/iasj/article/9499

وتقتصر معاجلة الدول الغربية لموضوع التعددية الثقافية في تأطيرها داخل الدولة والوطن، ولكنها تتجاهل أو يقل اهتمامها بهذا الموضوع في تعاملها مع التعدد الثقافي الخارجي، ورغم ذلك فإن واقع سياسة التعددية الثقافية في الغرب ظهرت من خلال تصريحات قادة كبار دول، تثبت أن هذه السياسة فشلت ولم تحقق ما كان يصبوا إليه قادة ومسؤولون تلك الدول. وبقدر ما يدعي الغرب قدرته على النجاح في احتواء الفئات الثقافية المتباينة، وتحقيق القدر الكافي من إمكانية التعايش السلمي بين هذه الفئات، إلا أن تلك الدول كانت ولا تزال تعاني من تصدعات وتشققات على مستوى القبول بالتعددية داخل المجتمع الواحد (الوطن)، فضلا عن خارجه. (العتيبي،١٤٣٥هـ)

وكانت بدايات ظهور مفهوم التعددية الثقافية مع بداية حركة حقوق الإنسان في الستينات من القرن العشرين وهذه كانت الشرارة الأساسية للتغيير نحو العمل بهذا المفهوم ، فركزت أول دراسة أثنية على الأفارقة الأمريكيين ومواجهة الصورة النمطية المنتشرة بين المثقفين وزيادة النظرة الإيجابية نحو الأفارقة الأمريكيين، ودخولهم للمدارس العليا، وظهرت عدة مقالات لمعالجة هذا المفهوم، بنظرة أعمق حوله وكيف تُبنى برامج تعليمية متعددة الثقافات لكل مستويات التعليم المتخصصة لتحقيق المساواة بين كل الجماعات والطبقات في المجتمع الامريكي. (Williams ,2009).

وفي عام ١٩٩٦م أصدر صموئيل هنتجتون " Huntington Samuel " كتابه "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي "وتُرجم الكتاب إلى أكثر من سبعين لغة، وأحدث الكتاب قنبلة في المناخ الثقافي العالمي، واعتبره الغرب خطة استراتيجية، لفرض هيمنة الحضارة الغربية على كل حضارات العالم من خلال صراع الحضارات، وحتى يسهل على أمريكا والغرب فرض أحادية قيادة العالم. من خلال المحافظة على تفوق الغرب عسكريا، والضغط على المجتمعات الأخرى لفرض قيم الحضارة الغربية وتعميقها للسيطرة على العالم؛ ولضمان مصالحها والاستيلاء على منابع البترول في العالم، وثروات الدول الإسلامية، وفتح الأسواق لمنتجات الغرب. (بباوي، ١٤٣٠هـ)

ولتنفيذ الخطة الغربية، وفرض الهيمنة الكاملة، بدأ الإعلام الغربي في شن حملة شرسة لتشويه صورة الإسلام، وربطه بالإرهاب، رغم أن الجميع يعلم أن الإسلام هو دين السلام، والإرهاب ظاهرة عالمية تكونت من طوائف ومذاهب متعددة، (فيه، اليهود، والمسيح، والهندوس، والبوذيين، وأديان سماوية مختلفة) وهناك كثير من الوقائع والأحداث توضح تعامل الغرب مع التعددية الثقافية منها:

- في عام ١٩٩٤م قام متطرف يهودي يدعى (باروخ جولد شتاين) بارتكاب مجزرة بشرية داخل الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، كان ضحيتها (٩٣) فلسطينيا وأصيب (٣٠٠). وهذا التعامل الغربي مع المسلمين.

بعد أن انتصرت أمريكا على الاتحاد السوفيتي، وأصبحت الزعيم الأوحد لقيادة العالم، وبجوارها العالم الغربي، اتجهوا إلى الحضارة الإسلامية، واعتبروها هي الحضارة المنافسة والتي تهدد حضارة الغرب، وسوف تعوق فرض هيمنة أمريكا واتباعها، فأخذت تحاول تفتيت الدول العربية والإسلامية للتخلص من الحدة والتماسك الإسلامي (بباوي،١٤٣٠هـ)

وهذه النزعة العدائية من جانب الغرب نحو الإسلام والمسلمين، والعروبة والعرب تظهر حقد الغرب ضد المسلمين والعرب، وكذلك الطمع في الثروات الموجودة لديهم، ومحاولة ذوبان هوياتهم والسيطرة على عقولهم وشخصياتهم ليكونوا إمعة تابعين للغرب، فكان هذا الصراع الذي ظهرت نتائجه السلبية وعواقبه المدمرة للعالم لأن الصراع هو ضياع للحقوق والغلبة للقوي، وهذه السياسة مغايرة ومتباينة مع النظرية الإسلامية التي تدعو إلى السلام والتعايش السلمي، فكانت المبادرة السعودية من قائدها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، التي يدعو فيها إلى حوار الحضارات بدلا من الصراعات، فنشأت نظرية حوار الحضارات لوقف زحف صراع الحضارات، وكان المؤتمر الإسلامي عام (٢٠٠٨م) في رابطة العالم الإسلامي بمكة (نوح،١٤٣٠هـ).

وهذا العمل الحضاري من القيادة السعودية ينقذ الموقف المتصارع ويحوله من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات والحديث عنه يتطلب تحديد أهدافه، وأولوياته، وأفكاره الأساسية حتى يكون متكامل شامل يحقق الحوار المنشود، وفي نفس الوقت يحقق الحماية الكاملة للحضارة الإسلامية ومرجعيتها وهويتها وخصوصياتها.

وفي مؤتمر التأسيس لليونسكو عام ١٩٤٥م طرحت الأوساط الثقافية والفكرية عدة تساؤلات حول أسباب انتشار الفاشية، والنازية، وأجمع الحاضرون على أن جوهر المشكلة لا يكمن في مستوى التقدم العلمي والتكنولوجي وإنما في الغاية من هذا التقدم وما يفرزه من قيم (نافعة، ١٩٩٧م).

وعلى إثر ذلك عقد سيل من اللقاءات والندوات والمؤتمرات في مختلف أرجاء العالم نظمتها قوى دولية ومراكز أبحاث متعددة –حكومية وخاصة – استظلت جميعها تحت مقولة "حوار الحضارات" (محسن، ١٤٣٠هـ).

وحوار الحضارات يعتبر بمثابة المصل الواقي، إذا سار في مساره الصحيح وأمدت جسور التواصل بقيم عالمية إسلامية. وما ينبغي أن يفهمه الغرب في التعددية الثقافية والقيم الإسلامية للحوار الحضاري هو:

١- أن يلتزم الغرب بالتعددية في المرجعيات الحضارية؛ لأن أحادية الحضارة الغربية معناها إلغاء الحضارات الأخرى، ومنها المرجعية الإسلامية، وإن فرض مرجعية واحدة على الشعوب كمن يفرض عليها أن تعيش على طعام واحد، ويقيد حركتها فلا تسير إلا في اتجاه واحد، ويجبرها أن ترى بعين واحدة.
٢- أن يعترف الغرب بقانون تداول الحضارات، وأن الحضارة ليست حكرا له، ﷻ (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)) (آل عمران: ١٤٠) فاليوم الحضارة الغربية، وبالأمس كانت الحضارة الإسلامية، وغدا قد تكون لأمة أخرى، فعلى الغرب أن يحافظ على الأمن خشية الوقوع في دائرة الثأر الحضاري.
٣- أن ما يسمى بالحضارة الغربية اليوم هو ناتج الحضارات السابقة ومنها الحضارة الإسلامية التي شاركت فيه بقسط وافر ونصيب كبير، والمنصفون من المستشرقين الغرب اعترفوا بفضل الحضارة الإسلامية، التي كانت مرجع الحضارة الغربية (ياقوت، د.ت).

والبنية التحتية لهذه الحضارة الإسلامية هي القيم الإسلامية التي كانت الموجه في التعاملات والحوارات والعلاقات والبناء والتطور، فالقيم هي المحور والمحرك الرئيس للحوار الحضاري؛ لذلك فإن تناول بعض القيم الإسلامية التي تساهم في السلام العالمي والتعايش السلمي أمر يحتاج إلى مزيد من التوضيح.

المبحث الثالث/ قيم الحوار الحضاري في الإسلام

الإسلام يجعل الحجة والبرهان عماد الصحة والخطأ في الحوار الحضاري، ويُبني على قيم توجه هذا الحوار نحو مساره الصحيح (لا إكراه في الدين)، (لكم دينكم ولي دين)، ورغم وجود التعدد الثقافي والاختلاف بين التيارات الثقافية والفكرية إلا أن أمر إقناع الطرف الآخر بالحوار يتم بالمنطق والتثبت والدليل القاطع والحجة القوية بمنهج عالمي متميز وذلك لحماية التعددية الثقافية من الانحراف إلى زاوية التيارات المذهبية المتصارعة.

ومع مصداقية وجود حوار للحضارات في الآونة الأخيرة، والقول بأن موضوع حوار الحضارات تنامى بصورة ملحوظة في العقد الأخير، ووصل درجة غير مسبوقة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأن كثرة الحديث حول هذا الموضوع تزيده ضبابية، وغموضا بدلا من توضيحه، إلا أن الغرب يطرح سؤالاً حول مصداقية وجود حوار للحضارات في الإسلام، ومناداتهم بأن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية يرفضان الحوار وأن الفكر الليبرالي هو الذي يقبله، فمن يقول ذلك فقوله مردود؟ (السنيدي،١٤٣٠هـ) والبراهين كثيرة ﷺ (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)) (آل عمران: ٦٤)

فالحوار أمر أساسي لأنّ هناك قواسم مشتركة، وهناك مجالات للتّفاهم والتّقارب، وهي الإيمان بما أُنزل على المسلمين، وغيرهم فالمصدر واحد وهو الله. فلتعارفوا وليعرفوا بعضهم، ومن ثم يتقاربوا ويتعاونوا على ما فيه صلاح الطرفين فالقرآن يعطي أسلوب بدء اللّقاء والحوار، وكيف نستغلّ نقط التّلاقي بين المتحاورين. فبيّن الأصول التي يمكن الاتّفاق والارتكاز عليها وهو الكتب السماوية (محسن، ١٤٣٠هـ).

ﷺ (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)) (المائدة: ٦٨). فالإسلام نظم الحوار ووضع له قيم تبنى عليها البنية التحتية الراسخة وتاريخها المجيد، واعترف المنصفين من المستشرقين بذلك. وكل ثقافة تنطوي على أساس من القيم تعد الموجه الأساسي لسلوكيات الفرد، وتساعد على التمييز بين أنماط حياة الأفراد والجماعات، فهي تجعل الحياة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي في أمن وسلام؛ لذلك فإن فقدان القيم وضياع الإحساس بها أو عدم التعرف عليها يجعل الفرد يندمج في أعمال عشوائية لا تُحدد بمبادئ أو تردعها قيم (سعدات، ٢٠٠١م).

وسوف يتم تناول ثلاثة مجالات قيمية وكل مجال يتضمن ثلاث قيم إسلامية للحوار الحضاري، الأول: الإنساني ويتضمن: (المساواة، الرحمة، التسامح) والثاني: الأخلاقي ويتضمن: (الصدق، العدل، التأني وفهم رأي الآخر واحترامه) والثالث السياسي ويتضمن: (حفظ الحقوق، التعايش مع التشريعات الأخرى واحترامها، حفظ المواثيق والحقوق)، والشكل رقم (٢) من تصميم الباحثة لتوضيح مجالات القيمية.

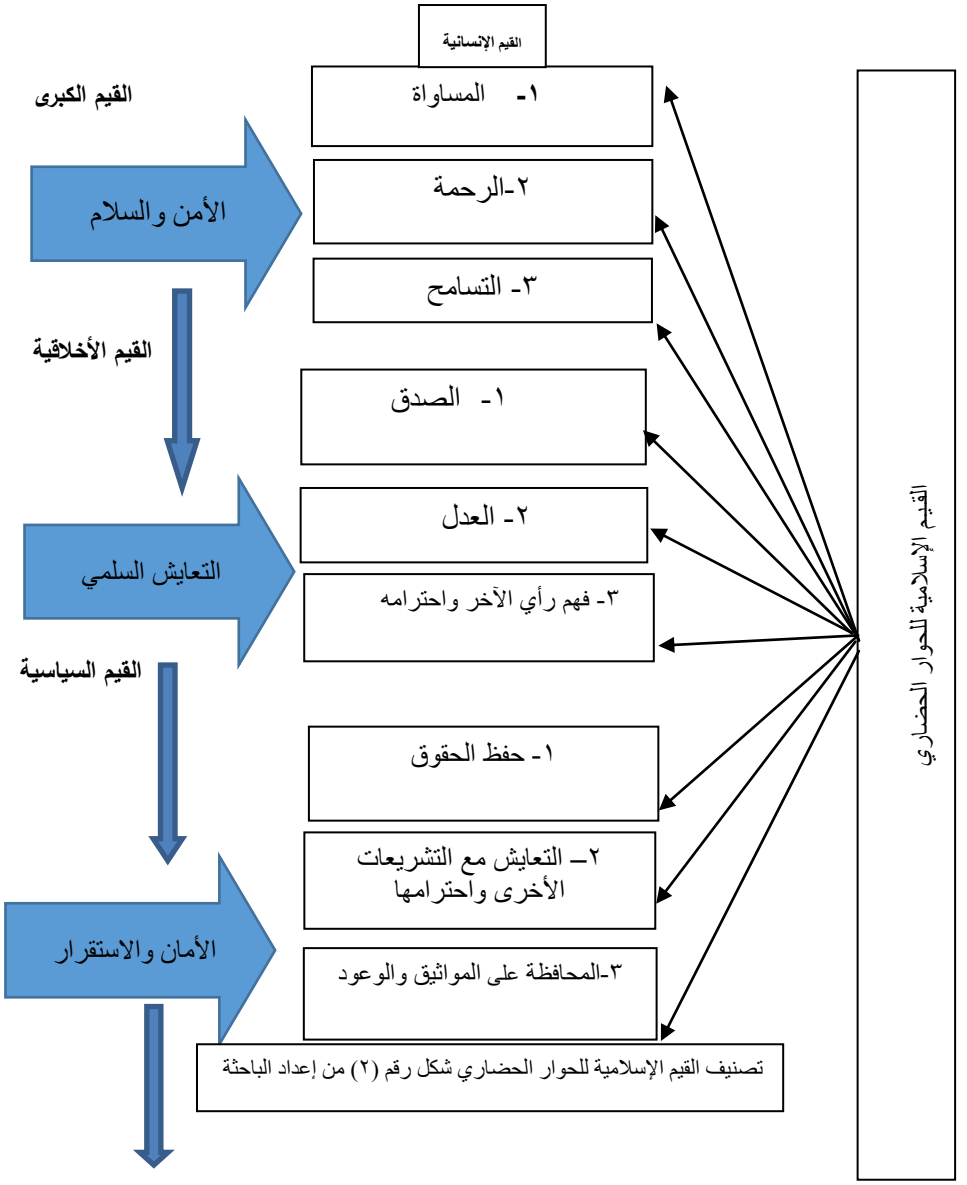

وفيما يلي توضيح المجالات الثلاثة وقيمها بشيء من التفصيل.

أولا: المجال الإنساني

أ-المساواة

إن قيمة المساواة من القيم التي تذيب الفوارق العنصرية، وتقضي على الاستعلاء على الآخر، فعندما يفهم المتحاورون هذه القيمة وتُبنى العلاقات الحوارية على قيمة المساواة، لا يشعر الآخر بالدونية، وتتكون لدية القدرة على الحوار الفعال والثقة بمكانته وقيمته الاجتماعية.

ومن نماذج المساواة في الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة "يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب (الجزائري، ١٤٠٨هـ).

وكثير من الآيات القرآنية بينت هذه الحقيقة العظمى التي يتغافل عنها بعض الناس ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)) (النساء : ١). فهذه إشارة إلى أصل وجود جميع الناس ومرجعيتهم، وأن الله خلقهم من نفس واحدة جميعا، وجعل الإسلام هو خاتم التشريعات السماوية، وجعله الرسالة العالمية والدين القويم لكافة الناس ﷺ (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)) (الأعراف: ١٥٨)

وحقق الإسلام هذه المساواة بالتطبيق الفعلي حيث تظهر في مواقف كثيرة منها: عندما وصل صلى الله عليه وسلم باب الكعبة أمر "بلالاً "رضى الله عنه أن يعلو على ظهر الكعبة، ويؤذن في الناس، فصعد بلال على ظهر الكعبة وأذن فساء ذلك بعض سادة قريش فتكلموا، وكان ممن تكلم "عتاب بن أسد" قال: "الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام أما وجد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً بغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله قوله تعالى: ﷺ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات:١٣)

وزجرهم النبي صلى الله عليه وسلم، عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، وفيها يؤكد للناس أنهم جميعاً عند الله سواء لا فرق بين أبيض وأسود، ولا فرق بين عربي وعجمي، ولا فرق بين سامي وآري وحامي. فكلهم من أب واحد وأم واحدة، ثم تناسلوا وتكاثروا فصاروا على الأجيال أمما كبيرة، والأمم الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة، ليعرف بعض الناس بعضاً، ويأنس بعضهم إلى بعض، فلا تفاخر بالأحساب والأنساب، وكثرة الأموال، وازدراء الفقراء، أو التقليل من شأنهم (حمزة.علوان.برانق،د.ت).

والخطاب الذي ورد في الآية فيه نداء للناس جميعا "يا أيها الناس" يشمل المؤمنين، وغير المؤمنين لأنهم إخوة في الإنسانية، ويرجعون في أصلهم لآدم وآدم من تراب، وتوزيع الناس إلى شعوب وقبائل ليس أمراً ذاتياً تتغير به حقيقة الإنسانية في الناس، إنهم مهما اختلفوا شعوباً وأوطاناً فإنهم "إخوة قرابة ونسباً". ولقد أكد نبي الأمة صلى الله عليه وسلم، هذه الأخوة الإنسانية في خطبة الوداع حيث قال: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد. فليبلغ الشاهد منكم الغائب (الخضرى، ١٤١٥هـ).

ومما يؤكد حرص الإسلام على مبدأ المساواة أن "الأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً" جعلت غير المسلمين يتمتعوا بحقوقهم وحريتهم في ظل الإسلام، ويظهر النهى صريحا في السنة النبوية، عن عدم إيذاء أهل الكتاب، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة" (الصنعاني، ١٤٣٢هـ، ج١٠).

هذه الحماية والمساواة مصدرها وأساسها الإسلام، فأين الغرب من هذه القيم العظيمة، قال عليه السلام «الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» (الزحيلي، ١٤٢٢هـ، ج٤).

فعلى الغرب الاعتراف بهذا المنهج القويم وتطبيقه فلا تستقيم حياة الأمم جميعها إلا به، فهذه القيمة توحد البشرية، والعمل بموجبها يهيأ سبل السلام، فالإسلام ليس كما يزعم الغرب، بل هو أرسى وأسس البنية التحتية للمساواة لمنع المشاحنات والتعالي على الآخر. وخلاف ذلك لا ينسب إلى الإسلام، مصدره من عقول جاهلة لا تفقه القيم الصحيحة للإسلام.

ب–الرحمة

إن قيمة الرحمة إذا سادت في مجتمع تماسك وتآلف أفراده، فالرحمة تبني المحبة، وتوجه سلوك الفرد إلى الرفق واللين وتقوي العلاقات بين الناس، قال ﷺ: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه) (النيسابوري،١٤١٦هـ، ج ٤، كتاب البر والصلة، ر: ٢٥٩٣). وقولهﷺ : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزع من شيء إلا شانه) (النيسابوري،١٤١٦هـ، ج ٤، كتاب البر والصلة، رقم الحديث٢٥٩٤). وقوله ﷺ: (من حُرِم الرفق حُرِم الخير، أو من يُحرم الرفق يُحرم الخير). (النيسابوري،١٤١٦هـ، ج ٤، كتاب البر والصلة، رقم الحديث٢٥٩٣) تظهر الأحاديث منزلة الرفق في الإسلام، فالله ﷻ يحب الرفق ويثيب عليه أكثر من أي شيء آخر، ووصفه المربي الأول ﷺ بأنه يزين العمل ويجمله، ويجلب لصاحبه الخير، خلاف العنف الذي يحرم صاحبه الخير. فمن صدر منه عنف، عليه أن يعدل عمله ويزينه بالرفق، كما وجه المربي الأول ﷺ أصحابه في الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا)، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: (مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ)؟ قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: (إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ). (أبو داود، ج ٣، كتاب الجهاد، ر: ٢٦٧٥)

كما "وردت كلمة الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكرم أكثر من ثلاث مائة مرة، ولهذا الورود الواسع في كتاب الله دلالة كبيرة على علو شأنها في الإسلام، وعلى أنها تأتي في مقدمة أولويات الاعتقاد والسلوك، وأنها مقصد قرآني أصيل في كل شيء" (علي،١٤٣٧هـ) ﷻ (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)) (غافر: ٧)

ﷻ (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)) (الأعراف: ١٥٦)

ﷻ (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)) (الزخرف: ٣٢)

إن وجود التعددية والتنوع سنة من سنن الله في هذا الوجود، وجرت به أقداره وحكمته سبحانه وتعالى، في جميع مناشط الحياة، فقد قسم الله بين عباده أرزاقهم ومعيشتهم، ورغم هذه التعددية الثقافية، فالإسلام يدعو إلى الوحدة في إطار التنوع، ليست وحدة قسرية ولا عنيفة، إنما وحدة من خلال الرحمة للمخلوقات كلها، والثقافة الرحيمة منظومة متكاملة تبدأ من الاعتقاد والتصورات، وتسري في الفكر والسلوك، (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)) آل عمران: ١٥٩. فالتراحم في التعددية، ينبغي أن يكون بين المجتمعات، وفي التحاور؛ لأن قيمة الرحمة بين الأطراف، تذيب الاستعلاء، وتزيل الفروقات، وتمد جسور المساواة، فيرحم الفقير الغني ويتعامل معه بأسلوب راقي، ويرحم الكبير الصغير ،ويرحم الحاكم المحكوم، ويرحم السيد خادمه، فالرحمة في كل الأحوال إجهاض للتسلط، فعندما يلين القلب، ويتحكم الضمير، تسير الأمور في مسارها الصحيح، فإذا أصبحت قيمة الرحمة سلوكا واقعيا، في التعاملات والحوارات، يجعلها تثمر في ظل نظام تكامل التناقض، وحين تنعدم الرحمة وتضعف قدرتها على الدمج فتكون مصدرا لحروب ثقافية واجتماعية واقتصادية .

والتعددية الثقافية الغربية تحتاج إلى قيمة الرحمة التي أمر بها الإسلام، ليستقيم معوجها، ويصلح خللها، لأنها في المحصلة النهائية نظرية سياسية، تنشأ من تجربة العيش في مجتمع تعددي ومتسامح فكريا، له تكوين متنوع من الوجهة الثقافية والاجتماعية، يقوم على احترام آراء الآخر، وتقبل ثقافاتهم، ومراعاة ظروفها، والاعتراف بهويتهم، فينتج حوار هادف بناء، ينسج خيوط التعايش السلمي. (علي،١٤٣٧هـ)

ومن النماذج في قيمة الرحمة مع الآخر في أيام حكم الخليفة عمر، حدث أن مر عمر رضي الله عنه، بباب قوم، وعليه سائل يسأل، وكان شيخا ضرير البصر، فضرب عمر عضده وقال له: من أي: أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، فقال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له: أنظر هذا وضرباءه[*] ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (الغزالي، ٢٠٠٥م).

[*] ضرباءه أي: نظرائه ومن في حكمه وعلى مثل حاله .

موقف يجسد قيمة الرحمة في الإسلام مع الآخر رغم التعددية والفوارق الدينة، والسلطة والمكانة الاجتماعية بين المتحاورين، حيث بالحوار الهادئ عرف الخليفة رضي الله عنه ما يحتاجه الطرف الآخر؟ فقدم العون والمساعدة له، هذه هي قيم الإسلام.

فالرحمة وردت في القرآن عالمية ﷻ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)) الأنبياء: ١٠٧)

فالتربية النبوية عندما تذم أمر أو تنهى عنه ففي تركه منافع للإنسان، فالأولى بالعاقل الفطن أن يعي أهمية الرحمة والتراحم بين الناس جميعا مهما اختلفت التعددية الثقافية، وفي ذلك صلاحا للمجتمعات، فالفطرة البشرية السليمة تتبع المنهج القويم، حتى تحقق التواصل الممتد عبر جسور الحوار المتناغم المحاط بالرحمة بين الناس جميعا. ﷻ (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)) (آل عمران: ١٥٩)

إن الرحمة تربط أواصر أفراد المجتمع، وتؤلف بينهم، فالتراحم يجلب المودة والتعاون والمحبة، أما القسوة والغلظة فتسبب التناحر والصراعات في المجتمعات متعددة الثقافات.

فإين دور المنظمات الدولية، والدول الإسلامية لتبرز التعددية الثقافية بالرؤية الإسلامية، التي تقوم على التراحم والتعايش السلمي.

فالإسلام دين عالمي ﷻ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)) (الأنبياء: ١٠٧).

ويظهر التباين الساطع في نماذج التعامل مع التعددية الثقافية في الغرب، ف "الاستعمار يناقض التعددية، حيث سلب حريات الناس ونهب مقدراتهم وقتل أعدادا كبيرة منهم أثناء المقاومة له، كما عمل على نشر ثقافته ولغته على حساب ثقافات الآخر (علي، ١٤٣٧هـ).

وبناء على هذا تعد القيم الإسلامية للحوار الحضاري من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، نظرا لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها وذلك لأنها ضرورة حتمية في التعاملات، ولأنها معايير وأهداف لابد أن توجد في كل مجتمع منظم سواء أكان متقدما أم متأخرا، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري (سعدات،٢٠٠١م)

ج- التسامح

إن المجتمعات المعاصرة بحاجة ماسة إلى قيمة التسامح في حواراتهم الثقافية، فالتغاضي واستخدام الحكمة والتسامح في العلاقات الإنسانية يزيد من الأمن والسلام العالمي، وإن قضية التسامح من أهم القضايا التي أهتم بها الإسلام اهتماماً بالغاً، وحظيت بمساحة كبيرة في الشرع الإسلامي، وقد ورد في القرآن الكريم خلق التسامح والتعامل بالحسنى مع الناس، فالإسلام دين السلام العالمي لم يكتفي بالتسامح بل دعا إلى المبادرة الايجابية أيضا، ﷻ (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) (فصلت: ٣٤ – ٣٥). هذا هو المجتمع الفاضل الذي ينشده الإسلام، مجتمع ود، ومروءة، وخير، وفضل، وإحسان، مجتمع الأمن والأمان، مجتمع متماسك البنيان متوحد الصفوف، والأهداف.

فالإسلام يريد أن تسري هذه القيمة في الحوار الحضاري بين المسلمين وغير المسلمين، رغم اختلاف الأشكال والألوان واللغات والديانات، ﷻ (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)) (العنكبوت:٤٦)

ومن نماذج قيم الحوار في التسامح لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخلها نهاراً بعد أن خرج منها ليلاً، وحطم الأصنام بيده، وقف أهل مكة يرقبون أمامه العقاب الذي سينزله بهم رسول الله جزاء ما قدموه له من إيذاء لا يحتمله إلا أهل العزائم القوية، إلا أنه قال لهم: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال اذهبوا فأنتم الطلقاء" (الجزائري، ١٤٠٣هـ). فعفا عنهم وسامحهم وهو قادر عليهم، فكانت نتيجة التسامح اطمئنان وأمن وسلام لأهل مكة، ودخول الكثير في الإسلام، فما أجمل العفو عند المقدرة، ﷻ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)) (٨٥) (الحجر: ٨٥)

فالعفو، والتسامح، والصفح عن المسيء، وعدم الظلم، والصبر على الأذى، له فضل ويؤجر فاعله ﷻ (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)) (النور: ٢٢)

والتسامح أمر يحتاج إلي قوة إرادة وثقة في المثوبة من الله، وقد ورد في القرآن بعدد من الصيغ اللغوية منها العفو، ﷺ (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)) (آل عمران:١٣٤) فإن ذلك كله من شأنه ترسيخ دعائم الأمن والأمان في المجتمع.

و"إن العالم اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الايجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى، نظرا لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوما بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات، والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمنية والمكانية بين الأمم والشعوب"(عتيبة، ٢٠٢٠م،ع ٦٤٥)

إن غياب قيم التسامح تصهر دعائم الأمن الاجتماعي في المجتمعات، وتزداد الصراعات، ويُفقد الحوار الحضاري هدفه وفعاليته بين الجماعات المتناحرة. وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

وللتسامح أنواع ذكرها "سنوب" وهي:

أ) التسامح الحقيقي Genuine Forgiveness
ب) التسامح السطحي Superficial Forgiveness

فالتسامح الحقيقي يختص بالمكونين المعرفي والوجداني، حيث يحدث تغيرا حقيقيا في نفس المُساء إليه فيتجاوز عن المسيء، وتستبدل الانفعالات السلبية بأخرى ايجابية ويزول ما في النفس من انفعالات، ويتحقق للشخص الانسجام والتوافق النفسي (أنور، ٢٠١٠م، مجلد ٩، ع٣).

إما التسامح السطحي فتتم الاستجابة له لفظياً بناء على ضغوط ثقافية، أو سلطة عليا أو الوصول إلى مصالح شخصية، ولكن تظل الانفعالات السلبية في النفس تجاه الشخص المُسيء؛ وتظهر بعد الحصول على المصلحة، وهذا مؤشر على قطع أواصر المحبة والألفة التي بين الأفراد، وجلب الصراعات؛ أما إذابة الشحنات السالبة من النفوس، فيكون باعتراف المسيء بخطئه واعتذاره من المساء إليه، فهذا يدعم قيمة التسامح في الحوار مع الآخر، ويحدث التسامح الحقيقي الذي أمر به الإسلام وحث عليه. ﷺ (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) (الأعراف: ١٩٩) و ﷺ (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)) (الحشر: ١٠)

إن الدين الإسلامي دين العقلانية والموضوعية، والالتزام، ودين الحرية الفكرية والدينية؛ ولذا كان معظم الذين دخلوا في الإسلام بسبب تطبيق مبدأ التسامح، والكلمة الطيبة اللينة، والإقناع وإعمال الفكر أضعافاً مضاعفة (الشال، ١٩٧٨م).

فقيمة التسامح والمساواة والرحمة إذا اشتمل عليها الحوار الحضاري، تتقارب النفوس وتمتد جسور الإنسانية، ويعم الأمن والسلام، طالما عرف الناس مرجعيتهم وأصلهم، وثمرات التسامح، وأهمية الرحمة تعود بالخير للإنسانية.

ثانيا: المجال الأخلاقي.

أ- الصدق

إن قيمة الصدق من عظائم القيم؛ فهو إظهار الحق ومطابقته للواقع، وهذا الأمر الجلل يكسب الثقة بين الأفراد، وخاصة عندما يعلم المتحاور أن الآخر صادق معه في وعوده وأفعاله، فالنفس تطمئن، والثقة تستمر، وقد وردت آيات في القرآن الكريم تضمنت توجيه رباني للمؤمنين بأن يكونوا صادقين ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)) (التوبة:١١٩)

وصفة الصدق ملازمة للنبي I وكان قومه ينادونه بالصادق الأمين من قبل البعثة، وجاء الإسلام ورفع مكانة الصدق وأهميته، فالصدق أول دروب الخير اتصف به الأنبياء وأثنى الله في كتابه الكريم على كثير منهم ووصفهم بالصدق من هذه الآيات ﷻ (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)) (مريم :٥٤) و ﷻ (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١)) (مريم:٤١)

والصدق في عمومه مع الله، ومع النفس، ومع الآخرين، يظهر في السلوك والأعمال، فلا تطمئن نفس، ولا يهدأ بال إلا بالصدق، وفي الحوار دائما يشترط أن يكون الصدق في المقدمة حتى تكون الأمور جلية واضحة، فالصادق يجمع بين خيري الدنيا والآخرة قال عليه السلام : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) (البخاري، ج ٨ ، ر : ١١٨،) و ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) (التوبة: ١١٩)

والآيات التي وردت في القرآن الكريم كثيرة وبصور متعددة ومجالات مختلفة تبرز أهمية الصدق، وتبين قيمه فهو مطلب أساسي في الحوار، وينبغي على الأطراف المتحاورة الالتزام به والتمشي بموجبه لإثبات الحجة بقول الصدق ﷻ (قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١)) (الشعراء: ٢٨ –٣١).

و ﷻ (ومَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) (الشعراء:١٥٤))

وﭐﭑﭒ (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٢)) الأحقاف: ٢٢

إن من أصول الحوار وأساسياته: أن يكون المتحاورون صادقين في أقوالهم وسلوكهم، وعدم كتم شيء من الحق، أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع النقاش أو الحوار، أما عدم المصداقية في التحاور والشفافية في التعاملات والاتفاقيات والوعود بين الجماعات والمجتمعات، مهما احتجبت، إلا وتأتي عليها حقبة من الزمن تتضح فيه الرؤيا، وينكشف الغطاء، وتكون النتيجة فوضى وتنازع وصراع، وفقدان الثقة في الطرف الآخر، وتزيد الصراعات، والمشكلات.

والإسلام كما رغب بالوضوح والصدق في الحوار والتعامل، وأقفل تماما باب الكذب وضع عقاب للمخادعين والمراوغين، وجعل عقوبة عظيمة لهم، ليبتعد الناس عن هذا الطريق الهالك المدمر للنفس والآخرين ﭐﱡ (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)) (الأحزاب: ٨)

وﭐﱡ (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)) (الأحزاب: ٢٤) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ "(المتقي، ١٤٠١هـ،ج٣، رقمه ٦٨٥٦، ص٣٤٤).

وهذا فيه ترغيب على قول الصدق مهما كانت نتائجه، والتحذير من الكذب مهما كانت عواقبه، حتى لو فكر الإنسان بنتائج ايجابية إلا إن عاقبته تكون سلبية، فالذين تراودهم أنفسهم الأمارة بالسوء بإخفاء الحقائق، وتجميل القبيح بالأقوال والسلوك فذلك هو النفاق، وجميع أنواعه ومجالاته مدمرة وغير مثمرة، وإن كان يرى أصحابها غير ذلك، فالباطل يجني باطل؛ لذا ينبغي مد جسور التواصل بالحوار الهادف الصادق والاستعانة بالله في كل الأحوال ﭐﱡ (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا(٨٠)) (الإسراء: ٨٠)

فالصدق مطلب حياتي والزامي؛ لتسير به عجلة الحياة وتستقيم، فخير البشرية هم الرسل عليهم السلام كانوا يدعون الله أن يرزقهم الصدق في أقوالهم وأفعالهم؛ لأنهم يحتاجون إلى الحوار مع أقوامهم، ﭐﱡ (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)) (الشعراء: ٨٤)، فالصدق منجاة من السقوط في زلات اللسان، وهفوات النسيان، وله تأثير قوي على نفوس الناس، ومكانته عظيمة، وثمراته جسيمة دنيوية وأخروية فالصدق يرفع منزلة صاحبة ﭐﱡ (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) المائدة: ١١٩

فقيمة الصدق تجعل الإنسان مطمئن النفس، لا يخشى ولا يخاف أن يُفضح أمره في يوما ما، وكل أسلوب يكون الصدق أساسه يكون نجاحه مأمول، وخاصة الحوار مع الآخر بصدق يؤلف بين القلوب، ويقرب المسافات، ويحقق الأهداف، هذا في الدنيا، أما في الأخرة فإن للمسلمين الثواب والفوز العظيم من عند الله.

ب – العدل

العدل ضد الجور وهو الاعتدال والاستقامة، بين الناس عامة، وعدم التحيز لفئة معينة لأغراض شخصية. ويظهر العدل في المواقف، والمعاملات، وهو قيمة أساسية لنشر التعايش السلمي.

قال تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨). فالآية واضحة تماماً فى تحديد كيفية العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، بل وترتقي إلى أمر أعظم من العدل، الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه، ووصلت إلى مرحلة الإحسان، وهو الزيادة على الحق وقد قدمت الآية لفظ البر الذي يعنى فعل الخير، ثم ذكر القسط الذي يعنى العدل، وهذه إشارة رائعة من الآية الكريمة إلى كيفية معاملة غير المسلمين فى حالة السلم، كونها علاقة قائمة على البر والإحسان وهو أمر فوق العدل، وفوق إعطاء الحقوق.

والعدل هو ميزان الله الذي ارتضاه لعباده، وهو إحدى القواعد الأساسية لأنه نظام مصلح لكل شيء، فإذا أقيم أمر بعدل، فسوف تحفظ الحقوق، وتتحقق العدالة في التعامل، ويتم التعايش السلمي، ﷻ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)) (النساء: ٥٨)

وفي الإسلام نماذج واضحة وخالدة، يشهد عليها المنصفين من المستشرقين، في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس، ومن أمثلة العدل في الحكم مع الآخر (إِنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، فَقِيلَ لَهَا: مَنْ فَعَلَ بِكِ هَذَا: أَفُلَانٌ؟ أَفُلَانٌ؟ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَجِيءَ بِالْيَهُودِيِّ فَاعْتَرَفَ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَرُضَّ رَأْسُهُ بِالْحِجَارَةِ) (البخاري، ج ٩، ر: ٢٣).

والعدل مطلوب في الأقوال والأفعال ﷻ (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)) (الأنعام: ١٥٢)

ومطلوب في كل الأحوال حتى مع النفس والأهل، وموقف حوار الصحابة للشفاعة عند الرسول عليه السلام للمخزومية التي سرقت، وهو موقف يظهر عدل الإسلام في صورة جلية، واضحة، ولا يمكن لأي فرد أن ينكره، فقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: "أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها". ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها (ابن كثير، ١٤٢٠هـ، الباب ٣٨، ج٣). فهذا التطبيق الفعلي يُبرز قيمة العدل في الحوار وموقف الإسلام الذي يكشف الحقائق ويوضحها ويعالجها.

ولا يقف عدل الإسلام عند هذا الحد بل تجاوز لمرتبة أعلى، عندما يكون الحوار خاص بذات الشخص، ويكون هو الحاكم بين نفسه والآخر، (فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَيْنٌ ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ : ((دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً))، وَقَالَ: ((اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ))، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ سِنًّا إِلَّا سِنًّا هِيَ أَفْضَلُ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: ((فَاشْتَرُوهَا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً))) (البخاري، ج ٣، ر : ٢٩).

الحديث يوضح قيمة العدل في الحوار، والوصول إلى إرجاع الحق بأفضل منه، فالعدل مطلوب في كل المواقف ويبدأ بالنفس، فالإنسان إذا كان منصفا عادلا مع نفسه، يكون كذلك مع الآخر، ومن العدل الإحسان إلى من أحسن إليك.

وهناك نماذج عالمية لقيم العدل في الإسلام منها: عندما اتسعت الدولة الإسلامية، وزادت الفتوحات، وفتح قتيبة رحمه الله مدينة سمرقند أسكن فيها بعض المسلمين دون أن يستشير أهلها الأصليين، فساءهم هذا التصرف، وشكوا هذا الأمر إلى الخليفة، فكتب عمر رضي الله عنه إلى عامله أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروه، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فكان الحكم بإخراج المسلمين، وعندما أصبح الأمر بأيديهم وافقوا على أن يبقى المسلمين بينهم. (السحيم، ١٤٣٢هـ)

إين العالم اليوم من هذه القيم وهذه العدالة، والانصاف. ينبغي أن يعرف الغرب التاريخ المجيد، والنماذج المشرقة في الإسلام بالأعلام القوي، ولا ينتظر المسلمون الغرب يرسل الهجمات الشرسة على الإسلام ويجرده من القيم، ثم يدافعوا عن قيمهم.

ج- فهم رأي الآخر واحترامه

إن فهم الآخر واحترام رأيه من أساسيات قيم الحوار في الإسلام؛ إذ يحتاج إلى قواعد يرتكز عليها لتوجيه دفة الحوار الحضاري إلى مساره الصحيح، ومن هذه الأسس والقواعد، تحديد لغة واضحة ومفهومة للتحاور بين الطرفين، والتجرد من حب الذات والانا، فهذه إن تمكنت في الشخص فإنه يغلب عليه فهم الصواب، أما إذا تمسك برأيه ويرى ما عداه لا شيء، ويريد تحقيق المكاسب المادية والرفعة، سواء كان ذلك سلطة أو مالا أو جاه. ويتصف بالتعصب الأعمى بدون مبررات وبراهين صحيحة، فهذا من أخطر أسباب الافتراق، لأنه لا يفرق بين الحق والباطل (صالح، ١٤٣٥هـ) وكذلك الاستعلاء والتكبر على الطرف الآخر.

ومن أمثلة الحوارات في هذا، تكبر إبليس وإعراضه عن ما أمره الله به، وآيات حوار الخالق، بهذا الشأن فيه دروس بليغة، ﷺ (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣)) (الحجر: ٣٠ – ٤٣). يوضح القرآن الكريم تحاور الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شيء مع إبليس الذي أعلن تنمره وعصيانه على الله، وهو خالقه، وفي هذا الحوار عبر ودروس، فالله قادر على كل شيء، ولكن استمر الحوار حتى انتهى الى حكمة أرادها الله.

والقرآن الكريم يتضمن العديد من أنواع القيم الحوارية التي تحترم رأي الآخر، فهو منهج للحياة، والسبيل القويم لمقاومة التحديات المعاصرة، ففيه الكثير من التطبيقات القيمية والحوارية والتربوية المختلفة، سواء كانت حوار الله مع الملائكة، أو مع الأنبياء مثل موسى عليه السلام، أو أمر من الله لأنبيائه بالحوار؛ لإقناع شعوبهم بأفضل الأساليب من غير تعنت أو قوة، ﷺ (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)) (النحل: ١٢٥)

واختلاف الرأي في الحوار حدث حتى بين الصحابة في المسائل الفقهية، وبين أئمة المذاهب، ولكن يتم بموضوعية وسعة صد، فإما أن يخضع للرأي الآخر، ويتنازل عن رأيه حينما تتضح له الحجة والصواب، وإما أن يتمسك برأيه مع تقديره لمخالفه واحترامه لرأيه.

والحوار مع الآخر يدخل في كل المجالات، وكل مجتمع له أيدولوجياته ونظامه، وله رأيه المستقل وليس بالضرورة أن يتبع الآخر، ولكن الحتمية تتوجب عليه أن يفهم الآخر، ويتقبل رأيه، ويكون ذلك بالتحاور، فقيمة الحوار لا تقلل من شأن الطرف القوي، ولا ترفع الطرف الآخر؛ إنما التحاور لاستيضاح الأمور بين الطرفين، وليس المهم بالضرورة اقتناع الآخر، فقد يفترقا المتحاورين بتمسك كل منهم برأيه، ويفهم كل طرف رأي الآخر، والافصاح عما يترتب عليه الرفض أو المنع أو القبول، وفي ذلك يتوصل الأطراف المتحاورة إلى اتخاذ القرار المناسب لها.

والاعتراف بالآخر والتحاور معه أمر بالغ الأهمية، حيث يكشف عن الآخر خلفيته الفكرية، وسلوكه، وتاريخه، ومعرفة واقعه الذي يستشف منه عناصر الحوار؛ ولذا كان من الضروري أن ينطلق الحوار من خلال معرفة الآخر، وليس من خلال ما يراه أحد الأطراف أو يتمناه، وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على نبيه I تأثره الشديد لعدم ايمان قومه.(عتيبة،٢٠٢٠هـ) ﷻ (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) (الشعراء: ٣ – ٤)

إن عالمية الإسلام جعلت احترم رأي الإنسان أيا كانت أيدولوجياته، ومعتقداته، ومهنته، من الضروريات التي تساهم في التعايش السلمي، وجعلته مكرما كونه إنسان. ﷻ (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)) (الإسراء: ٧٠)

إن رسالة الإسلام وجهت البشرية إلى تجميع طاقاتهم وجهودهم لمصلحة الإنسانية، وعمارة الأرض، وهذا التكليف للناس كافة، فكل المجالات تحتاج إلى التعاون الذي يحتاج إلى التحاور بقيم تليق بالإنسانية التي كرمها الله. وبفاعلية، وواقعية، وفهم الآخر، واحترام رأيه، والتعامل معه، وتقبله، فكل إنسان حُمل مسؤولية قرارته، ونتيجة سلوكياته، ﷻ (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)) (فصلت: ٤٦).

كل إنسان يتحمل نتيجة أفعاله وأقواله، وهذا ميزان الإسلام؛ لأنه دين السماحة والتفاهم، وجعل التحاور هو لغة التفاهم، لتوجيه الضال، وتثبيت الصائب، وهذا من قيم الإسلام العالمية التي تهدف نحو البناء والعمار، إما التعارض والفرقة والاستبداد بالرأي والتزمت والأنانية وفقدان الحوار، تجلب الصراع، والتنازع، والفرقة، وهي من عوامل هدم المجتمعات وتناحرها وفقدان التعايش السلمي.

ومن يدعي أن الإسلام لا يحترم الآخر أو لا يعترف بالتحاور، والحوار معه عقيم، فعليهم بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي وردت فيه جميع أساليب الحوار، وظهر الحوار في القرآن الكريم قبل وجود البشرية في حوار الله عز وجل مع الملائكة ﷻ (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)) (البقرة: ٣٠).

وكذلك في حوار الله مع إبليس كما ورد في الآيات مسبقا، وكذلك حوار الله عز وجل مع الأنبياء، وإرسال الرسل للتحاور مع أقوامهم والاعتراف برأيهم، والتمسك بالقيم الإسلامية أثناء الحوار، ﷻ (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)) (طه: ٤٣ –٤٤) فالحوار إسلامي قبل وجود البشرية، وبعدها ومستمر باستمرار الحياة.

و ﷻ (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)) (الأنعام: ١٠٤)

وتتجسد كذلك السنة النبوية على أرض الواقع، مع النبي ﷺ، وصحابته، في التعامل مع الآخر ويوم صلح الحديبية خير نموذج وشاهد على الحوار وتقبل رأي الآخر، فقد حضر عليه السلام والصحابة وهم متشوقين لمكة والجيش الكبير، ولكن بعد التحاور ووضع البنود والمواثيق، عاد المسلمون إلى المدينة ولم يدخلوا مكة، فالأساليب الحوارية بأنواعها، والتراث الإسلامي غني بالحوارات الهادفة بقيمها الإسلامية العالمية، فلكل إنسان رأيه، ويتبع ما يريد؛ ولكن جُعل الحوار لرفع الضبابية، وكشف الحقائق، والتقريب بين وجهات النظر، ويحل التعايش السلمي بدل الصراع وتحفظ الحقوق.

ثالثا: المجال السياسي

أ- حفظ الحقوق

إن الإسلام سباقاً إلى الإقرار بحقوق الإنسان، والحث على صونها وحفظها، وإحاطتها بالرعاية، وشمولها بالعناية؛ ووضع منهج متكامل للحياة الإنسانية له قواعد ثابتة، وأصولاً راسخة، ومبادئ خالدة، بل إن الإسلام اعتبر التفريط في حق من حقوق الإنسان تفريطاً في جنب الله، لذا يجب أداؤها على خير وجه، والوفاء بها طاعة لله (باجابر، ١٤٣٧هـ).

إن أول من حفظ الحقوق الإنسانية هو خير البشرية صلى الله عليه وسلم، ومثالا على ذلك إن المحافظة على الحقوق مسؤولية جماعية، تحافظ على كيان المجتمع، وسلامته، وترفع من شأنه، ومن النماذج الحوارية في حفظ الحقوق مع الآخر، عندما حاور الرسول الكريم الفتاة للوصول إلى الفاعل ومعاقبته، فبهذا المنهج الرباني الذي طبقته التربية النبوية، حققت العدالة الاجتماعية، وأصلحت السرائر، لتحقيق الأمن والاستقرار بين أفراد المجتمع (الضبيعي، ١٤٠٨هـ) لأنه مجتمع متفرد بنظامه الخاص مغاير للنظم الاجتماعية الأخرى التي تعاني منها البشرية، كالنظام الإقطاعي والرأسمالي، والاشتراكي والشيوعي، والتي أدت إلى انقسام المجتمعات إلى طبقات متفرقة، ينهش القوي جهد الضعيف، ويسود أهل الأموال على غيرهم، مما أدى إلى الصراع الإنساني، وكثرة الجرائم بين أفراد المجتمع لعدم وجود قيم للحوار الحضاري، أما المنهج الرباني فقد حقق العدل في منهجه، وجعل من مقاصد الشريعة حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، من أجل حفظ كيان الإنسان، ومراعاة مصالحه، التي منها: أن المال مال الله، والناس مستخلفون فيه لهم ملكية التصرف والانتفاع به، في الحدود التي أقرها لهم الشرع (باجابر،١٤٣٧هـ)، ﷻ (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)) (الأنعام: ١٥١)

ﷻ (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)) (الإسراء:٣٣)

إذا حُفظت الحقوق في مجتمع ما، وكان بينهم تحاور بالقيم الإسلامية العالمية، فإنه يسوده الأمن والاستقرار، لأن هذه" الحقوق التي أقرها الإسلام وأعطاها الإنسانية تهدف إلى تشريف البشر وصون كرامتهم وإزالة الاستغلال، والقهر والظلم عنهم وهي حقوق شديدة الصلة بالله وحده الذي هو صاحب الشريعة ومصدر كل حقوق الإنسان، لذلك فالحقوق منحة من الله لا يملك أحد تقييدها أو انتهاكها " (آل سعود، ١٤٢٠هـ).

فلا أمن أذا انتشر القتل وسلبت الأرض، وانتهكت الإنسانية، من غير تفاهم أو تحاور، أو حفظ الحقوق، أو عدم الاعتراف بأصحابها.. ﷻ (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)) (آل عمران، آية ١٨٠) وقَالَ عليه السلام: ((مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ)) (مسلم ،١٤١٦هـ، ج ٣، كتاب الفرائض، ر : ١٦١٠).

المتأمل في الحديث يستشعر عظمة إثم أخذ حقوق الآخرين بغير وجه حق، حتى وإن كان قدراً يسيراً؛ فإنه سيكون كالطوق في عنقه بمقدار ما أخذ، والخلاص من هذه العاقبة هو التحاور والتفاهم، والتعرف على الأسباب والمسببات، واحترام الحقوق والحفاظ عليها، أو استردادها، أو إعادتها، فالحوار مع الآخر لحفظ الحقوق له أسس يبنى عليها بحيث تعرف كل جماعة ما لها وما عليها، وعلى أي أساس كان الحق لها، فإذا تحقق هذا في الحوار والالتزام بقيم حفظ الحقوق بشفافية، وفاعلية، فسوف يعم الأمن والاستقرار بين الجماعات في المجتمعات المتباينة؛ لذا فإن الاعتراف بقيم حفظ الحقوق والعمل على ايقاظ الضمير، والاحساس بالمسؤولية تجاه الآخر، يترتب عليه الأمان بين الجماعات، والاستقرار في المجتمعات، أما ما يترتب عليه سلب الحقوق، فهو إشعال فتيل المعارك الطاحنة التي تعود بالدمار للطرفين والخسائر النفسية والبشرية، والمادية، وهذا نتيجة الطمع المادي والاقتصادي والسياسي؛ لذلك تولى الإسلام وضع سياسة خالدة وقيم عالمية يسير عليها الإنسان ويحدد حقوقه وواجباته.

ﭧﭨ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩))(النساء:٢٩).

والعمل بموجب ذلك فيه إصلاح للنفس، والسلوك، وتوجيه الفرد نحو الحلال وعدم التعدي على حقوق الآخرين، فلا تطغى شهواته ومطامعه على عقله وواجباته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَيْنٌ ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ: (دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً)، وَقَالَ: (اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ)، فَقَالُوا : إِنَّا لَا نَجِدُ سِنًّا إِلَّا سِنًّا هِيَ أَفْضَلُ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: (فَاشْتَرُوهَا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً) (البخاري، ج ٣، كتاب الهبة، ر : ٢٩) إن من تعاليم المنهج الإسلامي مقابلة الإحسان بالشكر والعرفان، ومقابلة الإساءة بالصفح والتجاوز، فقيمة حفظ الحقوق تتضح جلية في الحوار الذي وضح موقف المدين عندما يريد أن يستردّ الدائن حقوقه، وهذا من أجل المحافظة على الحقوق، ويُشكّل هذا المواقف دروساً هادفة لتطبيقها في المجتمعات في تعاملاتهم(باجابر،١٤٣٧هـ).

والإسلام يوضح الحقوق الخاصة والعامة، ومن أمثلة حفظ الحقوق العامة، أموال الدولة، كما ورد في الحديث: عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسْدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتَبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ – قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا : فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ – فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : (مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ : هَذَا لَكَ ، وَهَذَا لِي ؟ فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ – ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ – أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ – ثَلَاثًا –) (البخاري، ج ٩، كتاب الأحكام، ر: ٣٦).

وهناك مواقف يمكن أن تطرح وتحاور بصورة فردية، ومواقف أخرى يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة، وتعالج وتحاور أمام الجميع، فالإنسان لو تُرِك لطباعه يتصرف في المال حيث توجهه غريزته لاختلت الموازين، وساءت النتائج؛ لأنها تدفع بالإنسان إلى جمع المال والإكثار منه.

والإسلام تولى وضع سياسة خالدة للمال يسير عليها الإنسان ويحدد حقوقه وواجباته، وحذر من أخذ الأموال بغير وجه حق. هذا الأمر الذي شاع في الواقع المعاش، وتفشى بخطوط سميكة واضحة، والأكثر من ذلك أنه كثيراً ما يطلب علنياً من أجل تسهيل وتيسير الأعمال، وهذا أشدّ فتكاً بالمجتمع؛ لأنه يقوم على أخذ حقوق وإعطائها للآخرين مقابل عروض مادية، أو قضاء مصلحة، بحكم المركز والمجال العملي، وهذه خيانة عملية لا يرتضيها الإسلام، "إلا إذا أعطى ليتوصل به إلى الحق، أو ليدفع عن نفسه ظلماً فلا بأس به" (العظيم آبادي، ج ٦، ر: ٣٥٧٧).

ومن الحقوق صيانة حق النفس، فلا يحق لذا مكانة أو سلطان أن يسلب الإنسان حقه في الحياة، ومن فعل ذلك بغير حق تجاوز حدوده الإنسانية، ويكون عقابه من جنس عمله؛ وعلاج ذلك حد القصاص في القتلى للحفاظ على حقه في الحياة، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ (البقرة آية ١٧٩) ، وقال عبد الله بن عمر: (إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِي لا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ) (البخاري، ج ٩ ، كتاب الديات ، ر : ٣).

هذه تعاليم الإسلام التي أرسى دعائمها النبي ﷺ وجعل سفك الدم الحرام ورطة من الورطات: أي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها؛ لأنه أوقع نفسه في الهلاك، أي متعمد القتل بغير حق.

أما الحروب التي قام بهاﷺ فهي لنشر الحق والسلام، ومن أجل سعادة الإنسان. أما شعوب الحضارة الغربية تنادي بالسلام، وكأنه من صنعهم وتخطيطهم، فقد " رفعت منظمة اليونسكو شعار التربية من أجل السلام، منطلقة من أن معاقل السلام ينبغي أن تقام في عقول الناس" (السيد، ١٤٠٢هـ).

وهذه المدنية الغوغائية جعلت البشرية تتمرغ في دماء القتلى، ولا تملك إلا أن تنادي بشعارات زائفة، تخالف القيم الإسلامية التي بدأت بتربية الذات، وحرصت على سلامة الإنسان ذاته من اتباع الهوى، فالإسلام منهج موحد للجميع، فمن حاد عن الصواب وجانب الحق فقد ضل سواء السبيل، واختلت موازين الحياة لديه، إما لجهل أو لضلال، وسار ضد التيار.

ولتوجيه هذه التحديات، إلى مسارها الصحيح، ينبغي المناداة بقيم الحوار الإسلامية وبيان عالميتها، فلا تسلب الحقوق ولا تضيع، ويتحقق المطلب الأساسي لكل مجتمع وهو الأمن والاستقرار، فالنظام الإسلامي منهج حياة فريد ومتكامل يهيئ الجو الصحيح للمعاملات المتبادلة بين أفراد المجتمع، وأول حضارة رائدة وضعت خططاً مستقبلية تتوافق مع الفطرة السليمة هي الحضارة الإسلامية؛ لأنها تحافظ على الحقوق وتعالج كل ما يهم الإنسان، وبدأت ببنائه من الداخل حتى ينعكس ذلك على سلوكه الخارجي.

أما إذا فُقد الحوار وقيمه فكثير من الناس يسعى ويستنفذ جهده وطاقته في امتلاك حقوق الآخرين ولا يقنع مهما أخذ، ولا يبالي بالطريقة التي أخذ بها حقوق الآخرين حتى وإن كانت بالسلاح، والتسلط، وهذا فيه تجرد من الإنسانية.

وفي هذا الفضاء يحتاج الأمر إلى الحوار الهادف الذي يشق طريقه لتبيان الحقوق والواجبات؛ ليعم الأمن والاستقرار، والتعايش السلمي رغم التعدد الثقافي، في التشريعات والايدولوجيات.

ب- التعايش مع التشريعات الأخرى واحترامها

أقتضى أمر الله أن تكون البشرية متعددة الأديان والتشريعات فمنهم المسلم والكافر والمشرك، ويعيش الجميع على بقعة أرض واحدة، وهنا يظهر التساوي في أصل الخلق، والعيش على الأرض، والتباين يكون في سلوك الجماعات وأيدولوجياتهم، وتقبلهم للآخر، وطريقة معيشتهم،ﭧ ﭨ(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)) (التغابن: ٢)

وهذا الاختلاف يحتاج إلى "نظام يضمن لهم التعايش وعلى هذا يكون السلم هو الأصل في العلاقات بين الناس" (المصلح، ١٤٢٧هـ، ص٤٢) ، أما الحروب بين البشر فقد حدثت حتى مع المسلمين لأسباب بينهم ولنصرة الحق، وحذر ﷺمن هذه الحروب والقتل، ووضع نظام محكم لذلك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرار - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) (النيسابوري، ج٤، كتاب البر والصلة، ر : ٢٥٦٤)، المجتمع المسلم مجتمع ألفة ومودة ومحبة، وينتج عنها اختفاء الكثير من أمراض القلوب كالحسد والبغضاء، وقد نهى عنهاﷺ، والنهي ضمن الواجبات التي يجب فعلها، والتحلي بها، والمقصود بقوله - وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا- تعاملوا وتعاشروا بمودة ورفق وملاطفة، وتعاونوا على الخير، مع صفاء القلوب والنصيحة، والابتعاد عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض(النووي،١٤١٨هـ،ج١٦،كتاب البر والصلة والآداب، ر:٢٥٥٩).

وذوبان الشحناء والتنازع بين الجماعات والمجتمعات هو الحوار المقيد بقيم الإسلام العالمية، الذي يعترف بالتشريعات المتعددة الثقافات، فقبول الآخر يزيد بين من تقارب جسور التواصل، رغم الاختلاف، وهو ليس مستحيلا، فقد عاشت المجتمعات في حقبة من الزمن في أمن، وأمان، واستقرار في صدر الإسلام، ولعل من أروع الأمثلة على هذا التعايش مع التشريعات الأخرى هو سماح النبي ﷺ لوفد نصارى نجران المؤلف من حوالى ستين شخصاً، بدخول مسجده الشريف، وجلوسهم فيه فترة طويلة، من غير عقد أو معاهدة وعندما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى المشرق ليصلوا صلاتهم فقام المسلمون لمنعهم عن ذلك، إلا أن الرسول ﷺ نهاهم عن ذلك وتركهم يصلون في طمأنينة(ابن هشام،ج١).

وبناء على ما سبق: يتضح أن الإسلام أقر بحرية الاعتقاد لكل الناس فلا إكراه لأحد على اعتناق الإسلام، وإن كان يدعوهم إليه، ويرغبهم فيه، فالدعوة إلى دخول الإسلام، والإكراه عليه أمران متضادان تماماً، فالأول جائز مشروع، والثاني حرام ممنوع، ومن القواعد الأساسية في معاملة غير المسلمين ضمن هذا الإطار قاعدة (نتركهم وما يدينون) وهي للإمام علي بن أبى طالب رضى الله عنه (قاضى، ١٩٧٠م، ج٧).

وقد أثبتت الشواهد التاريخية صحة هذه المقولة، وقد وردت كثيراً، منها في عهد النبي ﷺ مع يهود المدينة حيث قال عليه السلام (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم). وكذلك رسالته ﷺ إلى معاذ بن جبل ﷺ في اليمن والتي جاء فيها "ولا يفتنن يهودي عن يهوديته" (القاضي، ١٣٩٦هـ)، وفي هذا عدم الإكراه في اعتناق الدين الإسلامي.

وأيضاً في عهد النبي ﷺ عندما أرسل إلى أهل نجران جاء فيه "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملّتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم. وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليهم دية ولا دم جاهلية...." (دروزة،١٣٣٨هـ،ج٧) ، وجاء في الحديث الشريف النهي عن قتل أصحاب الصوامع وهم رجال الدين والرهبان والعباد، قال ﷺ: "لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع" (ابن حنبل، ١٩٧٨م،ج١).

فالإسلام وقيمه وتاريخه كشمس مشرقه في سماء صافية، يراها الكل، ولكن الناس أصناف منهم من يعرف الحق ويتبعه، ومنهم من يعرف الحق ولا يتبعه ولا ينكره كالصخرة الصماء، ومنهم من يعرض عن الحق وينكره ويحاربه، والحرية الدينية موجودة لا جدال في ذلك، ولكن منعا من التناحر، والحروب المعاصرة التي طغت عليها الأنا، وحب المال، يكون الفاصل في كل الأحوال هو الحوار بقيمه الإسلامية العالمية الهادفة؛ لتقويم النفس، وتربية الذات، والتعايش بأمن واستقرار.

ج- المحافظة على المواثيق والوعود والعهود

إن الوفاء بالعهود والمواثيق يوفر الاستقرار، ويجعل الإنسان يشعر بالأمان، والوفاء بها أمر حتمي حتى في حالة الحرب، ﷻ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)) (الأنفال:٧٢)

ﷻ (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ(٥٨)) الأنفال:٥٨)

إن الإشكال الواقع في العصر الحاضر على وجه الخصوص يتمثل في نقض الوعود والمواثيق وقلة الحوار، والتحايل في الوعود التي ابرمت، أو التبديل فيها من طرف الجماعة المسيطرة، في أكثر من بقعة من بلدان العالم، ويأتي في قمة هذا الموضوع نظرة المجتمع الغربي إلى الإسلام والمسلمين بكيفية يغيب عنها الجانب الموضوعي، وهذه النظرة خلفت صراع واحتدام بين الأديان، وهو صراع قديم حديث، لماّ أثير حوله من تصورات ودراسات واشكالات، اقتضت ضرورة الالتزام بالقيم الإسلامية العالمية للحوار الحضاري الذي يُحتم الوفاء بالوعود والمواثيق، ولابد منه لوعي الذات والآخر ومجاوزة إكراهات التاريخ المريرة (جدي، بوعقال، ١٤٣٩،هـ).

وعدم التمسك بوعود الحاضر ودفن الصرعات القديمة، التي سادت فيها هيمنة ثقافة القوة والسيطرة، وذوبان ثقافة الآخر، يزيد من ضياع الهوية الثقافية، وبالتالي يرتفع مؤشر الصراعات والنزاعات وتذوب القيم وتهضم الحقوق.

ودين السلام العالمي يرفض الصراعات، والإسلام يأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق والوعود وذكرت في القران الكريم عدة مرات بصيغ مختلفة وتجسدت في مواقف كثيرة على أرض الواقع، وقد سار الصحابة ﷺ على نهج المصطفى ﷺ، وكانت هي السياسة السائدة في ذلك الوقت.

وعلى مستوى الجماعة وكسياسة المسلمين العامة والثابتة إنهم فوق احترامهم لأهل الكتاب وسماحتهم لهم وفروا جميع الحقوق اللازمة ليعيشوا حياة آمنة مع المسلمين، وكنموذج كتاب أبو بكر ﷺ إلى نصارى نجران "بسم الله الرحيم هذا ما كتب عبدالله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله لأهل نجران: أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي عليه السلام، على أنفسهم وأرضهم، وملتهم، وأموالهم، وماشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم وأساقفهم، ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يخسرون، ولا يعسرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته" (الأنصاري،١٤٣٢هـ، ج١).

ﭧ ﭨ ﭽ(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)) (النساء: ٩٢)

ﭧ ﭨ (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)) (الإسراء:٣٤)

ﭧ ﭨ (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)) (الرعد: ٢٠)

ﭧ ﭨ ﭽ(ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ(٩)) (الأنبياء: ٩)

هذه الآيات تتضمن أهمية العهود والوعود والمواثيق، فالالتزام بها أمر إلهي، ولا يمكن التفريط فيه، أو التنحي عنه بحال من الأحوال، وهذه المواثيق إذا لم تطبق سوف يُبنى عليها نزع فتيل الفتنة، وتحدث أمور لا تحمد عقباها، كالحروب، والصراعات، والنزاعات، والوقاية من هذا كله؛ يكون باتباع القيم الإسلامية للحوار الحضاري، التي تنشر السلام والاستقرار والأمن والأمان.

"لذا تعد القيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، نظرا لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها وذلك لأنها ضرورة اجتماعية، ولأنها معايير وأهداف لابد أن نجدها في كل مجتمع منظم سواء كان متقدما أم متأخرا، فهي تتغلغل في الأفراد على شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وتظهر في السلوك الظاهري واللاشعوري" (سعدات، ١٤٢٢هـ).

إن البناء القيمي الإسلامي يقي المجتمع من الأنانية المفرطة، والأهواء المدمرة، ويزوده بالكيفية التي يتعامل بها مع الآخر ويحدد له أهدافه ومبررات وجوده، وهو المرتكز الأساسي الذي يحرك الأفراد والحضارات نحو الأفضل والأحسن، أو نحو الاتجاه المعاكس؛ فإذا أُتخذ هذا الاتجاه السلبي فسوف ينحدر التدرج من الأعلى إلى الأسفل في حالة عدم وجود قيم ايجابية يسير عليها أفراد المجتمعات؛ لتنهض عليها الحضارات، وبالتالي تظل الصراعات

بين المجتمعات واستحالة التعايش السلمي بين هذه الحضارات المتعددة.

وبناء على ما سابق تناوله فإنه عند مقارنة التعددية الثقافية بين الغرب والإسلام، يتضح فشل التعددية الغربية على المستويين النظري، والعملي، في حين أن التربية الإسلامية أثبتت نجاحها وحسن تعاملها مع التعددية الثقافية وقد مارستها عمليا ونظريا، فانتشر الأمن، والسلام، والأمان، والاستقرار، والتعايش السلمي رغم تعدد الأديان والثقافات، في مختلف العصور الإسلامية ،الأمر الذي يعني أن أساليب تفعيل التعددية الثقافية ينبغي أن تقوم على البنية التحتية الإسلامية وليس الغربية، وتُحدد بالقيم الإسلامية العالمية للحوار الحضاري، فالمنهج

الرباني أول من استخدم أسلوب الحوار الهادف بأنواعه، كحوار الله مع الملائكة، وحوار الأنبياء مع أقوامهم، فالإسلام أول حضارة رائدة وضعت خططاً مستقبلية تتوافق مع الفطرة السليمة؛ لأنها ناقشت وعالجت كل ما يهم الإنسان، وبدأت ببنائه من الداخل حتى ينعكس ذلك على سلوكه، وتفاعله، فهو واضع الحضارة ورائدها.

وما يمكن قوله في نهاية المطاف هو أن يعيد المسلمون النظر في أنفسهم كمسلمين، ويتبعون قيمهم الإسلامية، لينصلح حالهم، وتصلهم نظرات احترام الآخر، فالعلاج يكون من أنفسهم، ﷺ (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)) (الشورى: ٣٠)

وﷺ (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)) (النساء: ٧٩)

النتائج

١) إن المنهج الإسلامي يدعو إلى التفاهم والتحاور بأحسن وأفضل الأساليب الدعوية والتربوية، ويزخر القرآن الكريم والسنة النبوية بالأدلة والبراهين على ذلك.
٢) الحوار بقيمه الإسلامية جسر عبور للوصول إلى نتائج ترضي الطرفين حتى وإن لم يقتنع الطرف الآخر، يكفي أن يعرف كل طرف حقوقه وواجباته ومسؤولياته، وتتضح رؤية الآخر.
٣) عند وجود حضارة تريد الهيمنة والسيطرة، على الحضارات الأخرى، ينبغي على الحضارات الأخرى التضامن وإبراز حضارتها، وتاريخها المجيد، وترفض الهيمنة وتقاومها، لضمان سلامة مرجعيتها.
٤) إن الصدام والتنازع يأتي من الطرف الأقوى، ليتمكن من فرض حضارته وسياسته، ويستخدم أسلوب الإكراه، ويرفض مبادرات السلام، من أجل مصلحته.
٥) من الأمور المهمة لنجاح الحوار ينبغي أن يسبقه تغير المفاهيم الغربية ذات المحتوى العدواني نحو الإسلام، فإذا نجحت هذه الخطوة يتحقق الهدف من الحوار.
٦) يحاول الغرب السيطرة على العالم بكل قوّته، وتعمل أمريكا على أمركة العالم تمهيد لفرض الهيمنة والسيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية، والسعي من أجل إلغاء الثّقافات الأخرى.
٧) مشروع الملك خالد الذي كان هدفه تحويل الصراع الحضاري إلى حوار حضاري، كان له صدى وأثر ايجابي في العالم بأسره، حفاظا على الثوابت الإسلامية والحقوق العربية.

التوصيات

١) بناء شراكة مجتمعية بين الدول الإسلامية لإبراز قيم الإسلام، وبيان مواقفه مع التعددية الثقافية في كافة البلاد التي ساسها المسلمين ودخلوها، وكيف تعاملوا مع الآخر في كافة المجالات السياسية والمذهبية، والاجتماعية.

٢) إنشاء قنوات فضائية في أمريكا والغرب تبرز القيم الإسلامية في الحوار الحضاري، والتاريخ الإسلامي والمواقف التربوية والإنسانية التي مر بها العالم في حقبة من الزمن.

٣) يجب أن تسهم وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة على الشبكة العنكبوتية بتعميم خطاب معتدل وسلمي يحث على التعايش وقبول الآخر، وتفهم الاختلافات مع الآخر داخل الدولة خارجها.

٤) تطوير الخطاب الإعلامي بحيث يزيل معاني ودلالات التخوين أو التكفير أو الكراهية أو الانقسام الطائفي أو المذهبي أو القومي، مع مراقبة صارمة للإعلام الخارج عن القيم الإسلامية والعالمية.

٥) ينبغي إجراء أبحاث ودراسات تعمل لبناء الشخصية الإسلامية المتزنة، وتسعى لإحلال السلام والتعايش السلمي بدلا من الصراع والعنف والنزاع والإبادة المتطرفة.

٦) نشر ثقافة التعايش السلمي والتسامح في البلاد التي فيها أقليات مسلمة، يستمد فعاليته من قيمه الإسلامية ومبادئه وثوابته الحوارية، والتفاهم والتعاون بما يحقق تعايشا مشتركا بين المسلمين وغيرهم من الطوائف المختلفة والمذاهب المتنوعة.

٧) ينبغي على المناهج الوطنية، والمؤسسات التربوية، أن تتصدى لجميع أنواع التطرف الفكري، والعنف بأشكاله المختلفة، وتوجه الطلبة، إلى قبول الآخر سواء كان داخليا أو خارجيا، بما يتوافق مع قيم الحوار التي يعززها ويوصي بها الإسلام.

٨) تشجيع الأنشطة واللقاءات والفعاليات الهادفة في المجتمعات التعددية الثقافية المحلية والعالمية لتعزيز التعايش السلمي وحماية الجماعات التنازع والصراعات المختلفة.

٩) على الحكومات الإسلامية التضامن وعمل مبادرة تسعى إلى تبني مشروع التعايش بين الطوائف المختلفة وتقبل رأي الآخر، وإصدار قوانين صارمة لمعاقبة مثيري الكراهية والعنف.

المراجع مرتبة

–ابراهيم، نجيب إسكندر؛ إسماعيل، محمد عماد الدين؛ منصور، فام رشدي. (١٩٩٩م)، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية. مكتبة الأنجلو المصرية.

– ابن جماعة، محمد. (٢٠٠٩). التعددية الثقافية ومفهوم الهوية المتعددة الأبعاد، *المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري*. (المفاهيم والتحديات) الرياض، جامعة الملك سعود.

–ابن حنبل، أحمد الشيباني. (١٩٧٨م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. (ط٢).

–ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٤٢٠هـ). *تفسير القرآن العظيم. (ط٢)*. ، (تحقيق: سامي سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

–ابن هشام، محمد عبد الملك.(١٤٣٣هـ). *السيرة النبوية*.(تحقيق: مصطفى السقا؛ إبراهيم شلبي؛ عبد الحفيظ الإبياري). دار المعرفة.

–أبو الوفاء، جمال محمد. (٢٠٠٠). تأثير التعددية الثقافية على النظم التعليمية في كل من بلدان المغرب العربي وأمريكا اللاتينية "دراسة مقارنة. *مؤتمر التربية التعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة*.القاهرة .دار الفكر العربي..

–أبو داود، سليمان بن الأشعث.(١٤٢٣هـ). *سنن أبي داود*. دار إحياء التراث العربي.

–أبو سكين، حنان كمال. (١٤٣٦هـ). مفهوم التعددية الثقافية. *المجلة الاجتماعية القومية*. (مج٥١). (ع١). المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

–أبو سكين، حنان. (د.ت). هل تنجح التعددية الثقافية فى معالجة قضايا الأقليات والمهاجرين؟. *مجلة آفاق سياسية*. المركز العربي للبحوث والدراسات.

–بو عود، أحمد.(٢٠٠٦). التعددية الثقافية وبناء المشترك الإنساني من منظور القيم الإسلامية. *ندوة: نحو ميثاق للتعايش والاحترام المتبادل في الثقافات المعاصرة*. مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان. تونس جامعة الزيتونة.

–آل سعود، محمد بن نواف بن عبد العزيز. (١٤٢٠هـ). *ندوة: حقوق الإنسان في الإسلام*.

–الأنصاري، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم.(١٤٣٢هـ). *كتاب الخراج* .(ج١). (تحقيق: طه عبدالرؤوف). المكتبة الأزهرية للتراث. سوف أراجعه للتأكد من وجوده

–أنور، عبير محمد؛ عبد الصادق، فاتن صلاح. (٢٠١٠)."دور التسامح والتفاؤل في التنبؤ بنوعية الحياة لدى عينة من الطلاب الجامعيين في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية ".*مجلة دراسات عربية في علم النفس*. (مج ٩). (ع ٣).

–باجابر، فاطمة سالم. (١٤٣٧هـ). أبعاد النظرية التربوية في الأصول الإسلامية. دار رضا للنشر.

–بباوي، لوقا نبيل. (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩). قراءة أخلاقية في المبادرة الملكية. مؤتمر مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وأثرها في إشاعة القيم الإنسانية.

–البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (١٤٠٧هـ). *الجامع الصحيح*. (ج٩)، دار الشعب.

–الترمذي، محمد بن عيسى. (١٤١٩هـ). *سنن الترمذي*. (ج٣). رقم الحديث١٩٤٣، دار الغرب الإسلامي.

–جدي، رشيدة؛ بو عقال، سمية. (١٤٣٩هـ). حوار الحضارات وصراع الأديان، *رسالة ماجستير*. جامعة العربي التبسي تبسة. الجزائر.

–الجزائري أبو بكر جابر.(١٤٠٨هـ). *هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب*، المكتبة التوفيقية.

–الحسن، حسن. (٢٠٠٨ م). *التفاوض فن ومهارة*. المنظمة العربية للعلوم الإدارية.

– حمزة، محمود محمد علوان؛ حسن، برانق محمد أحمد.(د.ت). *تفسير القرآن الكريم*. (ط٢). (ج ٢٦). دار المعارف.

–الخضري، محمد نور اليقين.(١٤١٥هـ). *فى سيرة سيد المرسلين*. مكتبة الإيمان.

-درباله. ياسر. (١٤٣٩هـ). *عالمية الإسلام بين النظرية وسوء التطبيق*، –https://maktaba amma.com/?p=11949

–دروزة، محمد عزت. (١٣٨٣هـ). *التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول*، دار إحياء الكتب العربية.

– الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (١٤٢٢هـ). *التفسير الوسيط*. (ج ٤). دار الفكر.

-السحيم، محمد. (١٤٣٢هـ). *القيم الحضارية في رسالة خير البشرية*، مكتبة الملك فهد.

-السرجاني، راغب. (٢٠١٠). *فن التعامل مع غير المسلمين* دار أقلام.

-سعدات، محمود فتوح.(٢٠٠١م). القيم الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية –دراسة مقارنة ". *رسالة دكتوراه غير منشورة*. جامعة عين شمس. معهد الدراسات العليا للطفولة

-السنيدي، فهد بن عبدالعزيز.(١٤٣٠هـ). حوار الحضارات. *رسالة دكتوراه غير منشوة*، جامعة الملك سعود.

-السيد، محمود أحمد.(١٤٠٢هـ). *معجزة الإسلام التربوية*.(ط٢). دار البحوث للنشر.
-الشال، محمود النبوى.(١٩٧٨م). *الإسلام رسالة السماء*. مكتبة سالم بن محمد آل حميد http://salemlib.dyndns-web.com:8000/cgi-bin/koha/opac-detail.pl?biblionumber=24031
-صالح، محمد عثمان. (١٤٣٥هـ). مشكلات الخلاف والافتراق والتحزب وعلاج الإسلام لها. *بحوث المؤتمر العالمي الثاني: العالم الإسلامي. رابطة العالم الإسلامي، المشكلات والحلول، التضامن الإسلامي.*
-صليبا،جميل.(١٩٧١). *المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية*. دار الكتاب اللبناني.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل. (١٤٣٢هـ). *التنوير شرح الجامع الصغير*. (ج ١٠). (تحقيق: محمد إبراهيم إسحاق). دار السلام.
- الضبيعي، إبراهيم محمد. (١٤٠٨هـ). *الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع*، مطابع الوطن.
-العاجز، فؤاد. (٢٠٠٠م). الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية. *مؤتمر: التربية التعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة* .دار الفكر العربي.
-عتيبة، آمال محمد. (٢٠٢٠). دعوة للتسامح. *مجلة الرابطة*، العدد ٦٤٥.
-العتيبي، عبدالله عايض. (١٤٣٥هـ). التعددية الثقافية من منظور التربية الإسلامية. *رسالة ماجستير*. جامعة أم القرى. مكة.
-علي. عبد الكريم عثمان. (١٤٣٣هـ) الأمة والجماعات الفرعية تعددية في كنف الوحدة. المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام مجلة الإحياء. العدد ٣٦. جامعة الملك سعود.
- محسن، زيد عدنان. (١٤٣٠هـ). الغرب والإسلام حوار أم صراع. *المجلة السياسة والدولية* ، https://www.iasj.net/iasj/article/9499
-العسيلي، عبد الله. (٢٠١٢م). التعددية والتعايش الثقافي في ضوء الشريعة الإسلامية.جامعة القدس. فلسطين.
-العظيم آبادي، الحافظ شمس الحق. (١٤٢٢هـ). *عون المعبود*، دار الحديث.
-عمارة، محمد. (١٩٨٨م). إنسانية واحدة وتعددية في الأمم والشعوب والقبائل والأجناس. *مجلة الوعي الإسلامي*. (ع ٣٨٨).
-الغزالي، محمد. (١٤٢٦هـ). *التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام*. (ط٦). شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

-قاضى، أحمد بن قودر زادة. (١٣٩٠هـ). *كتاب فتح القدير*. (ج٧)..-https://download islamic-religion-pdf-ebooks.com/7184-redirect

-القاضى، يعقوب بن إبراهيم. (١٣٩٦هـ). *كتاب الخراج*. (ط٥). نشر المطبعة السلفية.

-القماطي ، هنية مفتاح. (د.ت). أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة). أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، جامعة قايونس، جامعة قايونس). أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، جامعة قايونس.كلية الآداب

-لطفي، بركات أحمد. (١٩٩٠). *فلسفة التربية*. دار المريخ للنشر.

-المتقي، علاء الدين علي. (١٤٠١هـ). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*.(ط٥). (تحقيق: بكري حياني؛ صفوة السقا) مؤسسة الرسالة.

-محسن، زيد عدنان. (٢٠٠٩م). الغرب والإسلام –حوار أم صراع– المجلة السياسية والدولية. https://www.iasj.net/iasj/article/9499

-المصلح، عبد الله بن عبد العزيز. (١٤٢٧هـ). *التعايش السلمي في الإسلام*. كولومبو، المركز الإسلامي.

-مكرم، عبد الودود.(١٩٩٦م). *الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة*، دار الفكر العربي.

-نافعة، حسن. (١٤١٨هـ). اليونسكو وقضايا التعددية الثقافية والحضارية السياسة الدولية، (ع ١٢٧).

نقلاً عن موقع:

http://www.isesco.org.ma/francais/publications/islamtoday/23/P5.php

-نوح، سمير عبد الحميد. (٢٠٠٩م). من الحوار إلى التعايش والتحالف– رؤية للنتائج المستقبلية. *مؤتمر*

-النووي، يحيى بن شرف. (١٤١٨هـ). صحيح مسلم، بشرح النووي. (ط٤). دار الخير.

-النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (١٤١٦هـ). *صحيح مسلم*. دار ابن الحزم.

-ياقوت، محمد. حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام. www.nabialrahma.com

المراجع الأجنبية

- Farooq Hassan, Re - examining the possibility of, peaceful co - existence of muslims and non - muslims in the west based on the Abyssinian model, interdisci - plinary journal of contemporary research in business, vol 3,no 11, march 2012, pp. 869 - 880.

- Williams , E . (2009). " Multicultural Education " Unpublished Master. Thesis . United States Military Academy ,West Point ,NY.p1

Abbas Jirari, "Les Fondements d'un Discours Islamique Moderne", Revue l'Islam Aujourd'hui, ISESCO, No 23, 1427/ 2006.

https://maktaba-amma.com/?p=11949

https://www.alukah.net/culture/0/106255

Simon Bakke & Anne Leilda: Is Multiculturalism a Workable policy in South Africa? International Journal on Multicultural Societie (IJMS) . Vol. No. 2, ISSN 1817 4574 UNESCO, 2003, p119